تصميم : أمنية المربى

دموع الفيروز

رواية

ولاء جمال يوسف

منارة الأفكار
للنشر الإلكتروني

جميع الحقوق محفوظة @ منارة الأفكار للنشر الإلكتروني

ابريل ٢٠١٥

دموع الفيروز

تأليف: د. ولاء جمال يوسف

غلاف: أ. أمنية العربي

الموقع الإلكتروني للدار

/http://manaretalafkar.blogspot.com

صفحة الدار

https://www.facebook.com/profile.php?id=١٠٠٠٠٩٠٨٠٤٧٨٨٩١

اهداء :

إلي روح أبـي الذي أشتاق له كثيرا

إلي أمـي وأخوتـي

وأساتذتـي أعضاء نادي أدب أسيوط

والي كل أعضاء الدار الذين ساهموا في ظهور هذا العمل الي النور.

الفصل الأول

طرقت الباب طرقات خفيفة ثم فتحته بعد أن سمعت صوتا يأذن لها بالدخول، جلست على الكرسي المواجه له، كان منهمكا في إعداد بعض الأوراق في يديه في شرود، سألته إن كان يمكنها أن تسترخي على "الشاذلونج"

ابتسم ناظراً لها: بالتأكيد..

استلقت في هدوء وعيناها معلقتان في سطح الغرفة.. اقترب منها بكرسيه ممسكا ببعض الأوراق في يديه قبل أن يبدأ في طرح أسئلته المعتادة تقاطعه: هل يمكنني أن استلقي في هدوء.. لا أريد أن أتحدث في شيء؟.

ـ ولكني على الأقل أريد أن أعرف اسمك؟

ـاسمي سلمى وسني ٢٤ سنة

ـوالحالة الاجتماعية؟

لم تجب فقد كانت قد غرقت في دوامتها من جديد، نظر إلى يدها فلم يجد خاتم زواج فكتب إنها آنسة.

مضت فترة صمت طويلة يجلس إلى جوارها في تأمل دون أن يقطع صمتها بشيء فقط يتأملها بوجهها المستدير وشعرها الذي يشبه سبائك الذهب المتناثرة في اتزان حول وجهها وكأنه قرص شمس قد سطع للتو في سماء صافية في يوم ربيعي لم يقطع هدوءه سوي رنين هادئ من صوتها: متي ستكف عن التحديق إلي؟

لم يتأثر بسؤالها المباغت له وأجابها: عندما تبدئين بالحديث.

عادت لصمتها برهة ثم أخبرتهإنها ربما ستتحدث يوما ما ولكن ليس الآن.

نهضت وهي تعدل من ملابسها وشعرها المتناثر وتشد تلك "الكوفية" حول عنقها، يحاول أن يوقفها ولكنها تقاطعه: إنني جئت مرة ولكني أعدك أن أكررها.

حاول أن يسأل في إلحاح عن أي شيء ولكنها كانت قد أكملت ملابسها وانصرفت لتتركه في حيرة من أمرها ثم ابتسمت ابتسامة قد تكون بداية قصتها معه.

****

سار هو ووالدها متجاورين في صمت، حاول والدها قطعه بسؤاله عن أحوال عمله وكيف تسير الأمور وإن كانت هناك بعض الحالات تحيره فيمكن أن يساعده فيها، أخبره أن الأمور تسير بشكل جيد ولم يزد في إجابته فعمله هو مملكته الوحيدة التي لن

يسـمح لأحد باختراقها، ولم يعتد أن يفش أسـرار مرضـاه لأي أحد حتى وإن كان طبيبًا مثله.

وكأنما لاحظ والدها هذا فلم يزد في أسئلته وعادا أدراجهما .. فقد انتهى اعداد الطعام.

بعد الغداء أصـرت أن تصـحبه في جولة لرؤية بقية المزرعة ولم يمانع والداها سـارت متأبطة ذراعيه وهي تريه الأجزاء المختلفة من مزرعتها.

_لماذا لا تمضـي هنا أسـبوعاً على الأقل نسـتمتع بنسـمات الهواء الرطبة بعيداً عن أي إزعاج!

أبعد يدها عن ذراعه وتقدمها ببضع خطوات: وماذا عن عملي ؟!

أجابته بنفاذ خبر: لا يهم .. ألا تريد أن نمضـي بضـعة أيام سـويا.. يوسـف انظر إلي، إنيأشـتاق إليك كثيراً وأنت لا تشـعر بشـيء، في الفترة الأخيرة لم نعد نلتقي كما كنا في السابق. دائماً مشغول وبالكاد أسمع صوتك بالتليفون.

اقتربت منه أكثر وأدارت وجهه إليها: ألم تعد تحبني .. أخبرني يا يوسف ؟!

_أنت مجنونة، ما الذي يجعلك تفكري بمثل تلك الأمور

_إذن لماذا تبتعد عني؟

_لا شيء .. أخبرتك من قبل أنه العمل وليس إلا.

_يستطيع أبي أن يمنحك أيشئ تريده .. لن نحتاج إلي العمل بعد اليوم، وألقت رأسها علي كتفه في دلال: أنا فقط من تحتاج إليه لتحصل علي كل شئ

قال وقد بدا الضيق علي محياه:هيا بنا لنعود لقد تأخرنا عليهم.

****

مضي الوقت سريعا وأسدل الليل ستائره فاستأذن في الانصراف، حاول والدها أن يثنيه عن ذلك كما حاولت هي أن تحثه بعينها علي البقاء.. أشاح بنظره عنها وأخبر والدها أن عليه السفر ليتابع عمله فقرر أن يرحل معه لأنه أيضا ينتظره أعمال كثيرة.. سألها والدها إن كانت ستعود معهم ولكنها رفضت وقررت المكوث مع والدتها عدة أيام.

_من الجيد إنك قررت العودة لأنني كنت أريد أن أرحل ولكني خشيت من ثورة وغضب زوجتي ولكنك أعطيتني مبرراً خصوصاً وإن عربتك عند الميكانيكي إذن علي أن أوجه الشكر لك.

_آسف علي ازعاجك.. ما كنت أود أن أجعلك تتركهم اليوم لتوصلني لكن..

هل يمكن أن تنزلني عند العيادة.

نظر إليه بتعجب : يوسف هل تعرف كم الساعة الآن؟! لقد تأخرالوقت

_أعرف لكن أريد أن ألقي نظة علي بعض ملفاتً الحالات وتذكرت الآن أنها في العيادة.

بالقرب من العيادة أوقف السيارة وألتفت إليه : سأنتظرك حتى تنزل.

_لا أرجوك يمكنك الرحيل.

_كيف؟ لن تجد مواصلات في مثل ذلك الوقت خاصة والجو ينذر بسقوط أمطار، سأنتظرك حتى تأتي بتلك الأوراق لأوصلك.

_أرجوك لا تشعرني بالذنب .. يمكنك الرحيل فقد أمضي الليل هنا .. لا تقلق سأتدبر حالي.

_ولكن...

قال مقاطعا: أرجوك يا عمي.. إن لم أجد مواصلات سوف اتصل بك، لا تقلق.

_حسناً ولكن لا تترد في الاتصال أو يمكنني أن أبعث لك السائق بعد أن يوصلني.

_ لا داعي لذلك كله .. مع السلامة.

****

مضت ساعات وهو يتصفح ملفاته حتى شعر برأسه يثقل وجسده بدأ في الاسترخاء .. حاول أن يقاوم، بحث حوله عن أي شـــئ يمكن أن يشـــربه فلم يجد.. تعجب أنه لم يلتفت لذلك من قبل.. كل شيء في المطبخ والمطبخ مغلق وهو ليس لديه أي مفتاح.. كل المفاتيح مع "علي" الفراش.

نظر في ســاعته كانت قرب الثانية عشــر عندمادق جرس الهاتف، رفعه ليجب ولكن لم يأته رد، وضع السماعة وبدأ في ارتداء معطفه وأغلق عيادته..

بدي الطريق خاليا من أي مارة وكانت ليلة ممطرة بغزارة ، أكثر من نصف ساعة ولم تمر سيارة واحدة، بدأ اليأس يتسرب إلي أوصاله المتجمدة وإلي نفسه، تساءل لماذا لم يبعث "حماه السائق كما وعده.. ولكن ربما أتي ولم يجده فظن أنه رحل أو ربما نسي ظناً أنه سيتصل لو احتاج لمساعدة وكان هذا أخر توقع يتمناه.. قرر أن ينتظر قليلاً وحاول بث الدفء في أطرافه ناظراً إلي الطريق ،بدت له سيارة من بعيد كبصيص أمل في تلك الليلة الباردة أشار لها، فأوقفها سائقها وفتح بابها.

دخل ونظر إلي سائقها شاكراً وقبل أن ينطق هاتفا: أنت !

ابتسمت في ثقة: أغلق الباب جيداً.. ويمكنك أن تجفف شعرك بهذا.

ومدت له يديها بـ منشفة" دون وعي وكأن جنية خرجت له من قصص الأساطير تناول الـ "منشفة وجفف شعره وسريعاً بدأ الدفء يغمره.

_هل تذكرني ؟!،سألته وكأنها تتحداه أن يكون قد نسيها

لم تكون سوى سلمى مارة بالصدفة أمام عيادته

– بالتأكيد ولكن ما الذي أتي بك في مثل تلك الساعة إلي العيادة؟

_ضباط الشرطة والأطباء لا يكفون عن طرح الأسئلة .. ولكني أنا من يسألك هل كنت تنتظر حقاً أن تجد سيارة في مثل تلك الساعه وتحت تلك الأمطار؟!.

_حقيقة كنت قد بدأت أيأس وظننت أنني سأتجمد قبل أن تأتي سيارة تقلني ولكني لم أتوقع أن تهبط الشمس لكي تنقذني.

علت ضـــحكتها لتملأ الجو حولها روحاً جميلة: لم أكن أعرف أن الأطباء يمكن أن يكونوا شعراء.

_حقا أخبريني ما الذي أتي بك إلي هنا في مثل هذا الوقت ؟

_شـــيئا ما بداخلي حثني علي المجيء كي أنقذك .. دعني أســـألك ما الذي أتي بك أنت.. أليست عطلتك اليوم؟.

_بلي ولكن شيئا ما دفعني للمجيء ربما.. كي أراكِ.

توقفت بسيارتها أمام أحد المنازل: ها قد وصلنا.

نظر إليها دهشا: وكيف عرفت بيتي؟ أنك حتى لم تسأليني !!

علت ضحكتها من جديد لتدغدغ أعصابه وهي تلملم بعضا من السبائك الذهبية بعيداً عن وجهها: "النت" أحد هواياتي المفضلة.

نزل من سيارتها ولكن قبل أن يغلق بابها :هي ستأتي غداً؟

_لقد وعدتك أن أعود.

_أسألك عن الغد؟

_ دعك من ذلك .. متى ستأتي بسيارتك من الورشة؟

ذابت دهشته تلك المرة وعلت بسمة الاعجاب علي وجهه : سأنتظرك غداً

ردت بدهاء دون أن توعده بشيء :إلي اللقاء.

****

الفصل الثاني

مر اليوم التالي بطيئا على نفسه.. ينتظر شئ جديداً يكسر ذلك الملل الذي انتابه، رغم حبه لعمله لكنه اليوم تحديداً لم يكن بنفس حماسه.

أمسك هاتفه ليتصل بخطيبته، أتاه صوتها بعيداً فعرف انها بالكاد استيقظت من النوم وقبل أن يكمل شيئًا أخر كانت استأذنته لتكمل نومها وأغلقت الهاتف.

بدأ الإحساس الذي ولد لديه منذ فترة يكبر ويسيطر عليه، نظر إلي ذلك الهلال الفضي في يديه، داعبه قليلا ثم نزعه من يده ووضعه أمامه متأملاً.

طرقات الباب أيقظته .:" آخر كشف

_ دعه يدخل.

في هدوء وقفت أمام مكتبه دون أن تنطق بشئ.. رفع نظره إليها وقام من مقعده ليستقبلها في فرحة لم تخفي عليها: كنت أخشي ألا تأتي .. لكن لماذا تأخرتِ ؟!

_أنا هنا منذ فترة وانتظرت حتى تنتهي من كل مرضاك.

_المهم أنك أتيتِ.

أشار بيده مبتسما: يمكنك أن تستلقي علي "الشاذلونج" كما تفعلين.

_لا أنني لم آتِ للكشــف.. لقد أتيت لأنني وعدتك ولأنني أردت أن أري العيادة جيداً وأتأملها.

_وهل أعجبتك؟

_جداً تعجبني الإضاءة أكثر من أي شئ هل تعرف أن جوها عاطفي كليلة حب دافئة.

_شكرا.. مديح أعتز به، ولكن أخبريني هل أتيتِ لتري العيادة فقط ؟

تجاهلت سـؤاله واقتربت من كرسـيه خلف المكتب وجلسـت عليه.. بينما تعبث ببعض الأوراق أمامها رأت "الدبلة" امسـكتها عاليا بين أناملها وسـألته في دهاء :أنت خاطب إذن !!

ارتبك قليلا قبل أن يجيبها : لا.. أنها لأخي وينساها أحيانا.

_آه حقاً.

لم يعرف إن كانت قد كشفته أم لا، ولم يعرف أيضا لماذا لم يخبرها الحقيقة

تناولت حقيبتها : يجب أن أرحل الآن.. هل يمكن أن أوصلك ؟

_إنك لم تسأليني إن كنت أتيت بسيارتي أم لا.

_ولماذا أسال بالتأكيد لم تحضرها اليوم أنها ليست في الأسفل .

ضـــرب علي جبهته فقد كان ســـيذهب إلي الميكانيكي بعد مواعيد العيادة : في تلك الحالة ليس أمامي سوي أن أقبل عرضك فالوقت تأخر.

_هذا من حسن حظي.

في السيارة التفت اليها متسائلا عن عملهافأخبرته إنها مهندسة ديكور.

_ألن تخبريني لماذا تحتاجين إلي طبيب نفسي..

بدلال سألته: ألا تريد رؤيتي مرة أخرى ؟!

_بالتأكيد ولكن فضولي سيقتلني .

_هل أنت هكذا مع كل مرضاك؟ ما أعرفه أن الطبيب النفسي يجب أن يتحلى بالصبر.

_في العادة المريض يفضـل أن يبوح بما يؤرقه بمجرد اسـتلقاءه علي "الشـاذلونج"، ربما يخفي بعض الأشـــياء في المرات الأولي ولكن ســـرعان ما يفرغ كل ما في جعبته فيقلل توتره.. بعدها ابدأ في خطوات العلاج لكنك حقا تحيريني، أراكي منطلقة بحيوية وكأن شيئا لا يؤرقك.. وتلك الابتسامة علي شفتيك لا تبوء بضغوط نفسية لذلك فقط أثرتي فضولي وأريد أن أفهم..

_لا تتعجل.. ونصيحتي ألا تخدعك المظاهر فليس كل بناء يعجبنا يكون أساسه سليم أليس كذلك؟!

_بالتأكيد.. لكن عديني إنك ستأتين غداً.. للكشف.

ابتسمت ورمقته بتلك النظرة الذي اخترقته : حسناً انتظرني غداً.

****

نزع ملابسه في شرود وألقي بها علي سريره قبل أن يستدير إلي الحمام كانت هناك رسالة علي هاتفه.. " حبيبي آسفة لم أحدثك اليوم.. اشتقت إليك كثيراً سأعود غداً.. قبلاتي، أحبك".

ابتسم من رسالتها ونظر إلي اصبعه فلم يجد دبلته وتذكر أنه تركها حيث وجدتها سلمى، دائما كان ينزعها ليتحرر قليلا ولكن سرعان ما يرتديها ولكن كانت هذه المرة الأولى التي ينساها فيها.

في اليوم التالي أتت كما وعدته.. كعادتها كانت الأخيرة لديه، قبل أن يسألها شيئا كانت قد استلقت علي "الشاذلونج".

قبل أن تتحدث دخلت " مروة "و جرت نحوه: حبيبي، كيف حالك؟

رمقها بنظرة غاضـــبة فأجابته: ماذا حدث – نظرت حيث ترقد "ســـلمى "،ثم قالت مستدركة: آه آسفة لم أراكي، ثم نظرت موجهة حديثها له :حبيبي سأنتظرك حتى تنهي كشفك، لابد أن نتعشى اليوم معاً ..

خرجت وأغلقت الباب خلفها: هل تعرف، تبدو كخطيبتك لولا أنك أخبرتني أنك غير مرتبط.

_أنها مريضة عندي و...تحبني فقط.

_آه يبدو أن هذا مصير كل مرضاك.

نظر إلي وجهها، لم تكن ترسم إحدى ابتسامتها التي اعتادهامما أثار توتره،

_يمكنك أن تكتب لي بعض المنومات.. لن أطيل عليك فهي تنتظرك في الخارج.

_"سلمى" أرجوك .. يمكنني أن ألغي موعدي معها اليوم.

_أنا فعلا أشعر بإجهاد وتوتر وعلي الذهاب .. استأذنك.

رحلت بينما دخلت " مروة " وانتزعته من يده بينما كان ذهنه مازال شارداً معها.

الفصل الثالث

كان الدكتور " عمار" قد تحدث مع ابنته عما أحسه من ضيق من حديثه مع "يوسف" فشعرت أن عليها التكفير عن ذلك بدعوته علي العشاء ..

كانت لطيفة أكثر مما اعتاد منها مما آثار دهشته والأغرب عندما سألته عن أحوال عيادته وعن مرضاه ولم تنس أن تسأل عن تلك الفتاة التي رأتها عنده منذ قليل وما مشكلتها.

_لا شيء.. لم أعرف شئ بعد ، لماذا ؟

_لأنها استأذنت قبل أن تبدأ الحديث

_كي لا تجعلك تنتظريني كثيراً

_ هذا أفضل، أشعر وكأنها ليست مريضة، لا يبدو عليها.

_وكيف تريدين أن يبدو عليها. هل تعض علي أناملها أم "تبعثر" شعرها.

_ولماذا تدافع عنها أنك حتى لم تعرف شيء عنها.

كان صوتها قد بدأ يحتد فلفت أنظار من حولهم إليهم.. ابتسم في هدوء وسألها: هل اعتبر هذا غيرة !!

تعالت ضحكة هادئة: أغار؟! وممن من فتاة كتلك التي رأيتها، أنها حتى لا تمر بخاطري كي أقارن نفسي بها.

في هدوء استفزها: ربما، أنني فقط أردت أن أعرف أنت لست مجبرة علي التبرير يا عزيزتي.

انتهت دعوة العشاء سريعا عندما طلبت منه أن يوصلها إلي المنزل.. طوال الطريق لم يتحدثا بكلمة واحدة، كان ذهنه عالقاً بـ "سلمى " وتمنى لو لم تأت مروة فقد كان على وشك أن يفهم شيئا عنها ولكن سرعان ما بدأت شكوكه في نفسه تطارده هل هذا اهتمام طبيب بمريضة أم إنه شيء اخر ؟

بينما هو يفكر كانت هي أيضا إلي جواره شاردة في حوارهما منذ قليل.. هل يمكن فعلا أن تكون تلك الغيرة.. كيف يمكنني أن أغير من مريضة كتلك، إنها حقا جميلة لكنها يكفيها من يكون والدها.

ولكن نفسها لم تخدعها كثيراً .. نعم والدي غني وهو سبب كل هذا الخير الذي ينعم به يوسف لكنه لا يملك قلبه لو مال لغيري.. كانت المرة الأولي التي تعترف فيها لنفسها أنها تحب يوسف كل هذا الحب بل وأيضا تغير عليه، رغم كبرياؤها ونفوذها

تخشــي عليه من أخرى.. احتضــنت ذراعه بالقرب منها، نظر إليها شــارداً دون ن ينبس بكلمة واحدة حتى وصلت إلي منزلها.

****

رن "هاتفه" بعد فترة من وصـــوله، كان علي وشـــك أن ينام ،حاول أن يتجاهله لكنه لم يتوقف عن الرنين فرد عليه،أجابه صوت لم يعرفه في البداية.

_آسفة جداً، كنت نائمًا؟.

_لا.. لم أنم بعد، من التحدث ؟

علت ضحكة واثقة أنهتها بدلال : حقا لا تعرفني!!.

نهض من ســريره وهتف باســمها ولكن ســرعان ما انتبه :لماذا رحلتِ اليوم هكذا ؟ في برود أجابته : أبدا لا شــيء، فقط خشــيت أن تكون فتاتك قد تضــايقت .. أخبرني هل هي خطيبتك؟.

في تلعثم : لا .. أنها فقط قريبتي .. أقصد مريضة عندي كما أخبرتك.

_أه... ألم أخبرك أنك تدلل كل مريضاك.

_لا صدقيني.. أنها فقط تعتقد اعتقادات خطأ في علاقتي بها.. لاشيء أكثر من هذا .

شـعرت بمرارة في حلقها من كلماته تلك وشـرارة نار اشـتعلت بعقلها لكنها حاولت أن يبدو صوتها هادئا ظلت صامتة.

_هيه.. أنت مازلت معي هل تسمعيني؟.

_نعم أسمعك

_طالما اتصلت هل هناك شيء أردتِ قوله.

_لا شـيء سـوي أن أعتذر لك عما يكون قد حدث بسـببي ولكن بعد كلامك هذا لا داعي لاعتذاري.

_حقا. لقد رحلتِ اليوم دون أن تتحدثي أرجوك أنا..

_أعرف ما ستقول .. حسنا ربما أن أتيت غدا تعرف كل شيء إلي اللقاء.

أغلقت الخط، لم تسـتطع تحمل كل ذلك الصـراع بداخلها،إنها إلي الآن ممثلة بارعة ولكنها لا تدري إلى متي يمكنها الاستمرار.

قامت إلي إناء الزهر في شــرفتها لترويه.. لســعتها نفحة هواء باردة لكنها لم تشــعر بها لانفعالها، لم تدر إن كانت تروي تلك الزهرة بالماء أم بدموعها.. ربتت عليها في حنان وعادت إلي حجرتها.

أمام نتيجة الحائط.. نزعت ورقة اليوم كأي ورقة ،لم تعد الأيام تعنيها بعدما حدث ولكن.. الغد، انتابتها فرحة كبيرة، هرعت إلي خزانة ملابسها، احساس علي النقيضانتابها فرحة غامرة كادت توقف قلبها.. انتقت فستانها بعناية في انتظار الغد.

****

كانت تعرف أن الطائرة لن تصــل قبل الثانية عشــر ظهراً ولكنها لم تســتطع الانتظار فكانت في المطار تنتظره منذ الساعة العاشرة والنصف..

مر الوقت ثقيلاعلي قلب عاشــقه مثلهافحاولت التغلب عليه بتصــفح بعض الكتب المعروضة.. مضى الوقت بها بين صفحات الكتب في ملل.

تردد اســمها في إذنيها بلحن جميل تحبه أكثر من أي شــيء.. تركت ما في يديها في لهفة ناظرة خلفها، جرت عليه في شــوق لا يغيب عن أحد هاتفه اســمه في شــوق وود: أحمد

تشابكت الأيدي وتلاقت أعينهما في حوار صامت لم تدر كما استمر، لم يقطعه سوى صوت أحد الحمالين ليسأله عن وجهتهوسار معها نحو سيارتها.

لم يكن الكلام وحده كافيا ليشبع ذلك الشوق في قلبيهما.

_شهر.. شهر كامل لم أراك فيه، لا تعرفي كيف مرت علي تلك الأيام.

_ليست أقسى من أيامي في بعدك، أيامي كلها سيام، لا أشعر بلذة في أي شئ أفعله، أنام وأصحو في نفس حالي دون جديد.. اليوم فقط أعيدت لي روحي وشعرت بمعني وجودي في الدنيا من أجلك.

_لم أعرف أن "فاروق جويدة" استحوذ علي البقية الباقية من عقلك حتى أنك تحدثيني بلسانه.

لكزته في خفه في زراعه محاولة ألا تحيد نظرها كثيراً عن الطريق أمامها: ألا تكف عن سخريتك تلك.

أجابها وكأنه قد تأثر بكلامها: ليتني أستطيع ، أنت تعرفين إنني أعاني من تلك المشكلة.

وأقترب منها أكثر في سخرية قال: ألا تعرفين حلاً لتلك المشكلة.

_حسنا، ربما هذا يفيدك.

وأخذت تقذفه ببعض الأشياء أمامها في "تابلوه" السيارة.

الفصل الرابع

أوقفت السيارة عند منزله وأشارت له برأسها: ألن تنزل ؟!

رفع حاجبيه متسائلا: ما رأيك ؟

ابتسمت ابتسامة أودعتها كل حبها: أرى أن تستريح من السفر الآن.

_وماذا عن المساء ؟! ،أجابته بمكر يعرفه: ماذا تعني؟!

_حسنا، سأحدثك ليلاً ونتفق.

ضحكت ثم ودعته وانتظرت حتى صعد إلي منزله ثم عادت إلي منزلها وكأنها تطير من فرط سعادتها.. لم تكن قد شعرت بمثل ذلك الفرح منذ فترة طويلة خصوصاً في الآونة الأخيرة ،بعد وفاة اختها الوحيدة خيم الحزن عليها حتى ظن من رآها أنها ستلحق بها، حاولت والدتها كثيرا أن تمحو ذلك الحزن عنها دون جدوي.

كانت تتظاهر بالقوة والتماسك كعادتها تمارس عملها وتعود إلي منزلها لتطاردها ذكرياتها في حجرتها بمفردها ..

وكأن حزنها لا يكفيها فتكالبت عليها الهموم ببعده عنها في عمل طلبته منه الشـــركة فاضطره للسفر، كانت غيبته أكثر مما تتحمله في تلك الفترة لذا لم تصدق نفسها انها رأته الآن وتحدثت إليه.

كان يكبرها بثلاث أعوام تعرفت عليه بعد تخرجها مباشـــرة عندما طلب منها والده وهو أحد أصــدقاء والداها الراحل أن تتقدم للعمل في شــركة ذكرها لها، كانت العلاقات بين الأســرتين وطيدة قبل وفاة والدها وانقطعت الصــلات بينهم بعد وفاته ببضــعة ســنوات تقريبا، كانت وقتها طفلة لا تعي شــيئا ولكن والده لم يبخل عليها بتلك الفرصــة عندما طلبت منه أن يساعدها في أن تجد عملا وهناك تعرفت عليه..

ربما كما قال البعض قديماً أن البشــرية في بدايتها كانت جنســاً واحداً لا تميز كرجل أو أنثي وعندما أخطأ غضــبت الآلهة وفصــلته إلي جزئيين وطلبت من كل جنس فيهما أن يبحث عن ذلك الجزء الذي يكمله فإن وجده فيســعد وإن أخطأ الاختيار ســيظل عمره في شقاء.

هكذا كان يخبرها "أحمد" بأنها هي الجزء الذي يكمله والذي طالما انتظره دون يأس حتى رآها،شــيء غريب توافق الأرواح تتجاذب وتتآلف دون اتفاق أو اســتئذان من أحد

وهذا ما حدث معها دون أن تستطيع أن تمنعه أو تقف قوة شخصيتها حائل أمامه ،لم تهتم بالوقت فسريعا ما اعترفت لنفسها أنها تحبه ولم يحتاج أحدهما للاعتراف فالصب تفضحه عيونه.

عرض عليها الارتباط لكنها رفضـــت لم ترد أن تتعجل، كانت طموحاتها أكبر منها وأرادت أن تحققها قبل أن توافق علي الارتباط به رغم حبها له.

****

في المساء خرجت معه، لم تعترض والدتها فكم كانت تتمني أن يعود ليخرجها من حاله الحزن التي اكتنفتهامنذ رحيل أختها.

معه لم تكن تتذكر شيئا سوى أنه بجوارها يشعرها بأن الدنيا كلها بين يديها، حدثها كثيراً عن عمله الذي سافر له، كانت تستمتع كثيراً بحديثه خصوصاً عن العمل فقد كانت واحدة ممن يعشقون عملهم بشدة وتتطلع دائما للتقدم فيه.

سألها عن أخبارها في تلك الفترة التي سافرها.

في لا مبالاة أجابته وهي تتناول طعامها: لا شـــيء يذكر.. نفس الأعمال الســـخيفة في الشركة وبعدها أعود للمنزل لأعد تلك الأيام التي تبعدك عني .

_ما بك؟ أشعر وكأن شيئا يؤرقك.

_لا شيء صدقني

_أعرف أنه ليس من السهل نسيان ما حدث لكن هذا قدر.. انت تعرفين أنها عانت من حالة نفسية سيئة جداً في الفترة الأخيرة مما دفعها إلي أن ..

_إلي ماذا؟ أخبرني يا أحمد.. هل ما زلت تصـــدق ذلك الكلام، أن كنت تســـتطيع أن تصدق فأنا لا..

_لماذا ؟! أخبريني، ألم تحقق النيابة في الأمر ولم يجدوا شـــيئا أم أنك فقط تريدي أن تعذبي نفسك.

_ لا أستطيع أن أتجاهل الأمر، لماذا لا تفهمني ؟

_حسنا وماذا يمكن أن تفعلي ؟

شـــعرت بارتباك ولم تجبه ســـوى بغمغمة خفيفة: دعنا لا نتحدث في هذا الموضـــوع وأطرقت بوجهها وترقرقت الدموع في عينيها حسرة علي أختها وعلي نفسها.

رفع وجهها إليه وفي عينيه حب أراد أن يغمرها، مر بيده علي وجهها الرقيق ماسـحا تلك الدموع المنسابة: آسف صدقيني لم أقصد أن أذكرك بها.

من بين دموعها: وهل تعتقد إنني نسيت يوماً.. ليس سهلاً أن أفقد أختي الوحيدة، أشعر حقا وكأن جزءاً في قلبي قد كسر ولا أستطيع إصلاحه.

احتضن يدها بين يديه وقبلها.. حاول أن يسري عنها ويتحدث في أي مواضيع أخرى قد تجذب انتباهها ولكن دون جدوى كان عقلها يعمل في شئ آخر، فجأة تذكرت "يوسف" ، كان موعدها معه اليوم لكنها لم تكن لتذهب له بالتأكيد ثم ما لبثت أن استحسنت ذلك فبعدها عنه فترة يمكن أن تمتلكه وتسيطر علي فكره أكثر مما لو لقته .. حاولت طرده من فكرها في ذلك الوقت فهي مع أحمد أقرب ما يكون لقلبها، فكرت أن تخبره فيم تفكر لكنه لم يكن ليرضى بأي حال لذا آثرت الصمت وانطوت علي سرها .

أيام مضت كالطيف السريع بعدها عاد إلي عمله وكانت بالتأكيد " سلمى" أول من استقبلته ببسمتها العذبة وعينيها الباسمة، كان محبوبا من الجميع بشخصيته البشوشة.

شعرت بالارتباك عندما وجدت رقم "يوسف" علي هاتفها، حاولت تجاهله ولكن نظرة مستفسرة من أحمد دفعتها إلي الرد .. ابتعدت قليلا لتجيب كانت كلمات قليلة اعتذرت فيها بسبب انشغالها في العمل ووعدته أن تحدثه فيما بعد.

اقترب منها أحمد ليسألها عن المتحدث أخبرته أن النمرة خطأ.

ذهب إلى مكتبه ليجد باقة رقيقة من الورد كان يعرف صـــاحبتها قبل أن يري "الكارت" ابتســم ثم حملها بين يديه ليقرأ ما كتب علي الكارت " حمد الله علي الســلامة، يا رب تكون آخر مرة تبعد فيها عن قلبي.. بحبك".

التفت ليجدها تقف خلفه متسائلة: هل أعجبتك الباقة !

_نعم بالتأكيد .. ولكني لا أعرف ممن ؟

_حقاً.. وهل تعتقد أن غيري تجرأ أن يناديك حبيبي.

_ظننت ذلك.

لكزتـه في كتفـه: ألن تكف عن هزارك ذلـك.. المهم اذهـب الآن إلي المـدير يريـدك ياباشموهندس.

****

الفصل الخامس

في المساء كان عليها أن تذهب إلي"يوسف" ، كان حملاً ثقيلا عليها خاصة بعد عودة "أحمد" ولكنها لم تكن لتتراجع عما بدأته.

ارتدت ملابسها وذهبت إليه وتعمدت أن تذهب ة، عندما دخلت رحب بها جداً وطلب منها الجلوس لكنها أخبرته أنها تريده أن ينزل معها، بين دهشته حاول الاعتراض بسبب مرضاه لكنها رفضت المكوث واتجهت نحو الباب وملامحها تنم علي غضب مصطنع، لحق بها واوقفها، طلب منها أن تعطيه عشر دقائق حتى يعتذر لهم.

سبقته وعلي وجهها ابتسامة نصر .. بعد قليل كان إلي جوارها في سيارتها.. لم تتحدث بأي كلمة .

_ماذا يغضبك الآن إنني معك وتركت عملي وكل شئ .. ألن تخبريني ما بك ؟

_قريبا سنصل وأخبرك.

_نصل أين ؟ أنني حتى لا أعرف إلي أين نذهب ؟

ابتسمت وأخبرته ألا يتعجل ثم اعتذرت عن أسلوبها معه لأنها فقط كانت تحتاجه معها في هذا اليوم.. حاول أن يعلق أو يسأل ولكنها اوقفته بيديها : ها قد وصلنا.

أوقفت الســـيارة عند أحد المطاعم العائمة وكأنها عبارة في البحر وعندما دخلت كانت هناك منضدة محجوزة باسمها ما بين دهشته سأله: ما هذا ؟!

كانت "كعكة" كبيرة أمامهما وبها بضـــع شـــمعات في هدوء وثقة أجابته: .. اليوم عيد ميلادي وكان يجب أن احتفل به مع أحد.

_كل عام وأنت طيبة لكنك حتى لم تخبريني.

_لا يهم المهم أنك معي الآن بعيداً عن أي شئ.. دعك من هذا كله أخبرني هل يعجبك المكان؟.

_جداً والأكثر مفاجآتك.

امضت الأمسية معه وعندما حاول أن يسألها شيئا عن سبب مجيئها إلي العيادة أوقفته: اليوم عيد ميلادي هل تريد أن أتحدث عنشـــئ يزعجني.. اعتقد أنه غير ملائم ثم دعني استمتع بوجودك إلي جواري فهذا يكفيني اليوم.

شـــعر بها تغلغله أكثر وتســـيطر علي جزء كبير من قلبه كل مرة يراها فيها دون أن يفعل شيئا حيال ذلك بل والأكثر خطورة هو انشغاله في التفكير فيها.

طلب منها أن توصـــله إلي عيادته لأن ســـيارته هناك ثم ومضـــت عيناه وســـألها: ألم تلاحظيها؟!

_بل رأيتها ولكن كان يجب أن آخذك بسيارتي كي لا أفسد مفاجأتي

_إنها حقاً تستحق أن أترك عملي وكل شئ اليوم.

أوصلته إلي العيادة وقبل أن يغادرالسيارة طلب منها أن يلقاها غداً.

_أخشي ألا يتسع وقتك لي.

_يمكنك أن تأتي في أي وقت.

_لكن لن يكون ذلك في العيادة (قالتها محذرة).

ابتسم وأجابها: كما تريدين ولكن دعي الغد لي علي الأقل هدية لعيد ميلادك.

_حسنا، اتفقنا.

لم تنس أن تفتح " هاتفها" عندما عادت إلي المنزلق وجدت " أحمد" يتصـــل بها، كان قلقا عليها فقد حاول الاتصـــال بها مراراً ولكن هاتفها مغلق فأخبرته ان البطارية فارغة، أخبرها إنه اتصل بها في المنزل فأخبرته والدتها أنها غير موجودة وسألها أين كانت.

_كنت عند الدكتور.

_دكتور !! لماذا لم تخبريني .. مما تشتكي.

_أبداً لا شـيء يذكر فقد أشـعر ببعض الصـداع وأعطاني بعض المسـكنات، فيم كنت تريدني.

_ شعرت أنني أشتاق إليك.

كانت في حالة لا تسمح لها أن تتحدث فقد كانت تستعيد ما حدث اليوم وتلك المرارة مازالت تصـاحبها وفي الوقت ذاته إحسـاس بالخيانة ينتابها تحاول قتله لتسـتمر في الطريق الذي اختارته حتى النهاية.

قال مقاطعا شرودها :أنت معي؟

_نعم يا أحمد ولكني أشعر بإجهاد كبير.

_حسنا سأتركك ترتاحين وأقابلك غداً.. تصبحين علي خير.

قابلتها والدتها في لهفة وقلق: اين كنتي ..أحمد اتصـل بك أكثر من مرة ولم أعرف أين أنت كي أخبره.

_لقد اتصل بي وكلمته.

_أين كنت؟، لقد تأخرت وقلقت عليك.

_لا شئ يا أمي فقط صداع وذهبت إلي الدكتور.

لم تلتقط أذنيها ما قالته والدتها واتجهت إلي حجرتها وغرقت في نوم عميق.

****

في اليوم التالي لم تذهب إلي العمل مما أثار قلقه عليها.. فاتصـــل بها في المنزل فلم يجبه أحد وكذلك هاتفها كان مغلقا.

ســيطر عليه القلق فاســتأذن في الرحيل مبكراً في ذلك اليوم وذهب إلي منزلها، عندما فتحت الباب وجدته أمامها لم تدر ماذا تقول له ،كانت مفاجأة ولكنه قبل أن تتحدث أو حتى تسمح له بالدخول كان قد دخل بالفعل متسائلا عما بها : لقد أثرت قلقي جداً، لم تأت اليوم رغم أننا متفقين بأنني ســأراك اليوم وعندما اتصــلت بك هاتفك مغلق لم تتصلي بي وتخبريني ؟

حاولت أن تهدأ غضبه وبهدوء أشارت له أن يجلس فمنذ دخل وهومازال واقفا.

_أرجوك أهـدأ لا داعي لهـذا كلـه.. نعم اتفقـت أن ألقـاك اليوم ولكني لم أســتطيع الاستيقاظ بسبب الصداع ولم ألاحظ أن هاتفي مغلق هذا كل شئ.

كان صوتها هادئ متكاسل فلم تكن قد استيقظت من نومها سوي من دقائق.

لمس أناملها في رفق متسائلا بعينيه قبل أن يسألها: هل أنت بخير؟

شـعرت بذلك القلق في صـوته وذلك الحنان الفائض الذي جذبها إليه منذ أول مرة رأته فيها، لم تكن تتمني وقتها سـوي أن تعيش عمرها بالقرب من ذلك القلب الذي يحتويها لتعيش في هدوء وأمان.

ابتســـمت عندما لامس أناملها: نعم أنا بخير.. لا داعي لقلقك هذا ،اخبرتك أنني فقط شـعرت بكسـل فلم أسـتطع أن اذهب إلي العمل اليوم، ولكن اخبرني كيف أتيت الآن.. الوقت مازال مبكراً علي انتهاء العمل .

_ كل ما في الأمر عندما لم تجيبي علي هاتفك استأذنت باكراً وأتيت

في ذلك الوقت دخلت والدتها فوجدته، رحبت به واخبرها أنه أتي ليطمئن علي"سلمى"، حاولت أن تدعوه إلي الغداء معهم لكنه رفض لأنه يجب أن يرحل واتفق مع " سـلمى " أن يدعوها اليوم علي العشـاء بعد أن اسـتأذن والدتها التي رحبت بذلك فهي تعزه كثيراً وتثق فيه وتمنت أن يخرج ابنتها من حزنها.

نعم هي وعدته بالعشـــاء معه لكنها لم تكن لتفي بوعدها فاليوم كانت قد اتفقت مع "يوســـف" علي الخروج وكما كانت تقول لنفســـها دائما ،اطرق علي الحديد وهو

ســـاخن،كان يجب أن تلقاه اليوم لذلك اعتزمت في نفســـها أن تتصـــل بأحمد لاحقا وتعتذر عن دعوته اليوم وتطلب من والدتها أن تخبره أنها نائمة لو اتصل بها بعد ذلك.

****

الفصل السادس

في المساء اتصلت بيوسف لتسأله إن كانت تأتي إليه أم هو مشغول، ضحك عندما سألته: أنت تعرفين أنني أتمني أن ألقاك أكثر منك فلماذا تسألي ؟.

_حسنا، يمكنني أن أحضر إذن.

_لماذا؟؟ يمكن أن أمر عليك، فقط أخبريني عنوانك.

شعرت بالارتباك لحظة ولكنها تمالكت نفسها: لا داعي لذلك سآتي أنا إلي اللقاء.

لم تدع له فرصة لسؤالها أكثر أو الإلحاح عليها.

كان ينتظرها تحت العيادة وعندما وقفت بسيارتها طلب منها النزول ودعاها إلي سيارته، حاولت أن تعترض ولكنه أخبرها أنه لن يدعها تفسد مفاجأته اليوم.

كانت أكثر مرة تراه فيها بمثل تلك الوسامة ،ملامحه تنطق بفرحة كبيرة لوجودها معه.

كانت تتأمله في صمت محاولة رسم بعض الابتسامات الزائفة فوق قلب حزين، لم يكن من هؤلاء الأشخاص الذين يبدوا علي وجوههم الغدر بل أن ملامحه مريحة ويشعر من يراها أنها ليست أول مرة يراه فيها.

ربما طبيعته كطبيب وقدرته علي اكتساب ثقة المرضي هما السبب في ذلك الشعور ولكنها لم تأبه لهذا كله فهي وحدها تعلم حقيقته أو هكذا كانت تظن.

أوقف سيارته في إحدى الصفوف وعبرا الشارع ،في الجهة المقابلة كان هناك أحد المطاعم المعروفة جداً وعندما دخلا وجدت مجموعة كبيرة من الـ"جارسونات" في انتظارهم في صفين.. تعجبت من ذلك لكنها لم تعلق.. عندما وصلا إلي داخل المطعم طلب منها أن تختار المنضدة التي ستجلس عليها.

بدهشة سألته: ألم تحجز لنا منضدة محددة ؟

_بلي ولكن اختاري ما تريدين.

أتجها صوب منضدة محددة اختارتها، بعد دقائق معدودة جاء أحد "الجرسونات" يرحب بهما وسأله إن كان يحضر" الطلب" الآن ولكنه طلب منه الانتظار .

تركها تستوعب مفاجأته ولكنها بدهشة سألته: أنا لا أري أحد غيرنا في المكان ؟!

_نعم لأن المكان كله محجوز لنا وحدنا.

_ماذا ؟!

ولكنها لم يمهلها كثيرا أشـار إلي أحدهم ففهم قصـده وأحضـر "كعكة" كبيرة وخفتت الإضاءة حولهم.

ذابت دهشتها وسط الموسيقي الهادئة حولهم وقاما معا بتقطيع " التورته" .

ظلت فترة صـامتة ،تتأمله نظر إليها متسـائلا: هل مازلت متعجبة ،ألم أخبرك أن تدعي ذلك اليوم لي، ما رأيك؟(وأشـار بيده إلي المكان حوله)، نظرت حولها ثم أعادت النظر إليه :مفاجأة جميلة ولكني لم أكن اتوقعها، لماذا تفعل كل هذا معي ؟

_لأنك لم تخبريني أن عيد ميلادك كان بالأمس لذا قررت أن احتفل بيه اليوم ولكن علي طريقتي.

_لماذا؟

رفع كتفيه في إشارة تعني بلا سبب، ظلت مثبتة نظرها عليه.. خفضبصره وركز في ذلك الإناء أمامه.

حاولت أن تخترق دواخله ولكنها لم تسـتطع ،رفعت يدها وثبتت ذقنها فوقها متسـائلة: ألا تريد أن تعرف لماذا حضرت إلي عيادتك ؟

رفع رأسه دهشة وكأنه قد نسي تلك العلاقة بينهما، انتهي من ابتلاع ما في فمه وأجابها بحماسه: بالتأكيد..

بداخله لم يعد يهمه ذلك الأمر فهو يكفيه تواجدها معه وإن أخبرته عن سـبب زيارته سيصبح لقائهما بلا داعي وقتها.

كانت قد أعدت كذبتها جيداً من قبل، حكت له عن حب ضائع لا تكتمل حكايته معها ، منذ بداية أعوامها في الكلية ودائماً تنتهي بكلمة " ما ينفعش" وفي كل مرة تلازم فراشها في إصرار ووعد دائماً تحنث به بألا تحب من جديد وبضعة شهور وتبدأ من جديد لتنتهي من حيث بدأت حتى سأمت حياتها وكانت أخر حكاياتها مع زميل لها لم يشعر بحبها من الأساس وارتبط بغيرها وكانت تلك هي القشة التي قسمت ظهر البعير كما يقولون ،حاولت أن تكون متأثرة بكلامها وأكملت :وهكذا قررت أن أستشير طبيب نفسي فقد شعرت بإحباط شديد وبفقدان الثقة بالنفس وأردت أن أعرف كيف يمكن أن ينتهي ذلك الألم من اعماقي لأبدأ قصة تستمر علي مسارها الطبيعي المقرر لها.

شعر بتهدج صوتها فمد إليها يده بمنديل تناولته منه.. في أعماقها حمدت ربها أنها مازالت تجيد التمثيل كما كانت دائما في فريق التمثيل بالكلية.

رفعت عينا شبه دامعة مكملة حديثها: هل تعرف أنني علي وشك أن أنغمس في مشكلة أخرى ولكن تلك المرة ستكون القاضية بالنسبة لي؟

حاول أن يســـألها، حاول أن يتحرك لســـانه بأي كلمات لكنه توقف، لم يكن يريد أن يسأل سوي عن شئ واحد لاحظته هي في نظراته الحائرة المضطربة وتلعثم كلماته.. لم تمهله فرصة لاستجاع شجاعته أو البوح بتلك الكلمات، طلبت منه أن ترحل لأنها تشعر بتعب شديد، حاول أن يستمهلها بعض الوقت ولكنها لم تعطه فرصة للمناقشة أو أمل في تراجعها، تناولت حقيبتها واســـتعدت للرحيل، ابتلع كلماته ورحل إلي جوارها حانق علي تردده متمنيا لو اعطته الفرصة كي يرتاح قلبه.

الفصل السابع

في الســيارة إلي جانبه كانت الفرحة تغمرها فهي اليوم في ذلك الطريق الذي رســمته .. كانت نظرات اعينه مضـطربة كاشـفة عن ذلك الصـراع الذي يعتمل في نفسـه.. هل كان ســـيخبرها عن حبه.. ولكن لماذا لا ؟ أنه حقاً يحبها بل ويتمناها منذ ذلك اليوم الذي رآها فيه واليوم أكثر من أي يوم خصوصاً عندما عرف مشكلتها ولكن تذكر فجأة "مروه " هل يمكنه ببسـاطة التنازل عن كل شـئ، إنها نعم تحبه ولكنه لم يشـعر بذلك الشـعور نحوها، ربما يوماً أعجبته بل وأســـرته بســـحرها ولكن ذلك لم يدم طويلاً مع شـــعوره بالدونية والامتنان لوالدها.

بدأت الصراعات تعتمل في نفسه.. تقاتله، حاول طردها بعيداً ليهنأ بوجود " سلمى" إلي جواره، نظر إليها فوجدها شاردة.

وكأن صـــوته يأتي من بعيد نظرت إليه دهشـــة، ابتســـم عندما رأي دهشـــتها: هل كنت شاردة؟

_نعم، قليلاً.

_فيم كنت تفكرين ؟

_في ذلك القدر الذي ساقني إليك.

كانت أول كلمات صادقة تقولها لكنه لم يفهمهاوقال: لم تخبريني ما الذي جعلك تأتي إلي تحديداً ؟

_بل أخبرتك، لم أعد احتمل صراعي مع نفسي وتلك الروح المسيطرة علي فأتيت.

_لم أعنِ هذا ولكن أعني لماذا دكتور " يوسف إسماعيل" تحديداً.

_لم أعد أتذكر من الذي دلني عليك.. ليس ذلك المهم، المهم أنني هنا.. معك.

انتابه شعور التغلغل أكثر وأكثروبدت له صورة"مروة" تتلاشي.

أصر في تلك المرة أن يوصلها إلي منزلها... حاولت الاعتراض ولكنها اضطرت إلي الموافقة أو هكذا تظاهرت ، طلبت منه أن يقف عند أحد المنازل البعيدة عن منزلها وانصرفت مودعة وانتظرت حتى اختفت سيارته عن نظرها ثم ظهرت ثانية في الشارع تنتظر أي "تاكسي" يمر أمامها ليوصلها إلي منزلها.

******

كانت فرحة أحمد لا تسعه عندما رآها في اليوم التالي وأقبل نحوها بنفس القلق في عينيه متسائلا عن حالها .. كانت فرحتها كبيرة لما حققته في الأمس وانعكس ذلك علي

وجهها مما جعله يصدقها عندما أخبرته أنها افضل حالاً، سارا معاً بين أروقة الشركة حتى وصـــلت إلي مكتبه وهنا طلبت منه أن يدخل ليتابع عمله ولكنه ناجي عينيها :اخبريني كيف أدعك تبعدين عن نظري وأنا لم اراك يوماً كاملاً؟!.

_إذن ماذا كنت تعمل وأنت مسافر يا " روميو"؟

تجاهل ســـخريتها واكمل: كنت ابعت بصـــورتك من أعماقي حتى تتجســـد أمام عيني واضمها بين ذراعي وأقبلها... هكذا.

ابتعدت إلي الخلف فأطبقت يديه علي الهواء .. نظرت إليه موارية ضـــحكتها مشـــيرة بسبابتها محذرة.

رفع حاجبيه في تعجب لذلك التهديد: حسنا، سأري من يمنعني غداً منك.

ابتعدت عنه فأمسك ذراعها وقربها إليه في رفق : اليوم ليلاً سآتي ولن أقبل أي أعذار..

لابد أن نجلس معاً ألا تعرفين كما اشتقت إليك ؟!

هزت كتفيها في دلال يعشقه: لا لم أعرف.

_حقاً سأخبرك.

وكان علي وشـك الإمسـاك بها عندما مر المدير فأعتدل في وقفته بينما احمرت وجنتاها عندما أدار عيناه بينهما، لم يدر ماذا يفعل ســـوي أن يبتســـم وطلب منها الذهاب إلي مكتبها فأسرعت خطاها وكانت تتمني لو تختفي في تلك اللحظة بالتحديد.

أدار نظرة إلي أحمد الذي كانت عيناه تتابعاها في شغف ثم ما لبث أن رأي مديره يراقبه فخجل.

ربت علي كتفه في حنان: إلي متى؟ ألن تتقدم إلي والدتها كي تعفي نفسك من هذا كله؟

_أنها لا ترضي حتى نكون أنفسنا.

_لا تخضع لذلك الكلام كثيرا يبدو إنها مجنونة ولكنها تحبك، ضعها أمام الأمر الواقع وتشجع وقتها لن تجد أمامها سوى الموافقة.

_ولكني أخاف أن تتضايق من ذلك.

_يا بني.. كلهن يتدللن ويخشين القيود والمستقبل ولكن لا يضعفهن سوى الحب ربما تتظاهر بالغضب في البداية ولكن سرعان ما ستوافق وأرتاح أنا منكما.

هنا ابتسم أحمد وكذلك مديره وواصل الطريق إلي مكتبه ليقرأ بعض الأوراق.

مرت أيام فكر فيها في كلام مديره ووجده يوافق هوي في نفسه ،إن اسعدلحظاته قربها، إنها تحبه وذلك لا جدال فيه كما أنه لا ينقصـــه شـــئ كي يتقدم إليها، ووجد أن ذلك يجب أن يكون قريباً خاصة وهو يعلم رأي والده في الموضوع وكذلك والدتهاواستحسن فكرة مفاجأتها كي يمحي فكرة التردد لديها وكذلك خوفها.

في نهاية الأســـبوع طلب منها أن تنتظر زيارته، كانت كلماته جادة علي غير عادتها به، وضعت يديها حول خصرها مستفهمة :وكأنك أول مرة تأتي لزيارتي !!

_لا، لكن يجب أن تكون والدتك في المنزل هذا كل شئ.

_حسنا وإن كنت لا أفهم سر هذا "الاحترام" المفاجئ، ثم عقبت بسخرية: أخشى أن تكون مريضًا.

قبل أن يهم بالرد عليها قاطعته: يجب أن انصرف الآن، فالمدير آت ولن اتحمل نظراته لنا.

تركها ترحل بينما أقبل المدير نحوه فحياه برأســـه وابتســـم ابتســـامة فهم منها أنه عمل بنصيحته.

الفصل الثامن

أقبل اليوم التالي حيث موعده معها، ابتســـمت حين فتحت له الباب دون تعلق علي تلك "البدلة" التي يرتديها وأن علقت لم تكن لتقول ســـوي أنها تفضـــل الملابس "العصـــرية" أما الرســـميات فلا تحبها خاصـــة في زيارة عادية.. وما الذي كان ســـيدريها حقيقه زيارته.

خرجت إليه والدتها لتحييه ولكنه في تلك المرة أصـــر أن تبقي معه فهو يريد الحديث معها وانتظر حتى خرجت "سلمى " لتحضر شيئا يشربه ليبدأ كلامه .

أخبرها برفض"سـلمي " الارتباط سـابقها وسـببها في ذلك وتقديرا لرغبتها لم يتقدم وقتها بالرغم من أن والده يتمني ذلك اليوم وينتظره وكذلك والدته ولكنه اليوم أتي ليعلمها كي تقنعها وأيضا كي يسمع موافقتها فيدعو أهله إلي زيارتهم قريباً.

امتزجت أحاسـيس الفرح بأحاسـيس أخرى شـتي ولم تدربما تجيبه ولكنها طلبت منه أن ينتظر فلم يمض علي وفاة ابنتها سـوى بضـعة أشـهر فقط وهي تريد أن تقيم ل"سـلمى " فرح كبير ينسيها الأيام المؤلمة الماضية .

احترم حزنها ورغبتها لذا لم يلح عليها في طلبه ولكنه فقط أراد أن يعرف رأيها المبدئي فأخبرته أنها لا تتمني شخصا أفضل منه لأبنتها خاصة وهي تعرف أهله جيداً وتعرف أن ابنتها تحبه.

دخلت هي في تلك اللحظة ولكنها لم تسمع شيئا مما قيل فقط لاحظت ذلك الدمعالمترقرق في عيني والدتها وكأنها تأبي النزول، نظرت إلي أحمد مستفسرة فأطرق بوجهه.

جلست بجوارها وربتت كتفها ثم قبلت يديها وفي عينها نظرة اصرار وحقد لا ينطفئ.

لم يطل بقاءه واستاذن مما أثار عجبها ولكنها لم تعلق فلطالما كانت هي أغرب منه.

****

لم تكن قد رأته منذ ذلك اليوم حيث كانت معه ولم تكن تجيب علي مكالماته عملا بالمثل القديم كلما ابتعدت كلما ازداد اشتياقاً ولوعه ولكنها قررت أن تبدأ اليوم الحلقة الثانية في مسلسلها معه.

اتصلت به وحددت معه موعد لتقابله اليوم، في البداية ارتبك مما جعلها تسأله إن كان مرتبطاً بأي موعد لكنه سرعان ما تمالك نفسه ووافق.

كان علي موعد مع " مروه " فهو لم يلقاها منذ مدة طويلة منذ سـافرت وعندما عادت اتصلت به واتفقت معه علي الخروج ولكن ماذا عساه يفعل الآن، لم يكن ليرفض دعوة "سـلمي " فهو نادراً ما يصـل إليها خاصـة بعد آخر مرة رآها فيها. دائما يجد نفسـه منسـاق إلي لقياها ربما لشعورهالدائم أنها قد تختفي ويفقدها ويفقد قلبه معها، ولكن ما كان يؤرقه هنا هو كيف يعتذر لـ " مروه " عن الخروج اليوم وهل ستقبل اعتذاره أم لا ؟ ، هنا قرر أن ينتظر حتى يحين الموعد وقبله مباشـرة يتصـل بها ويعتذر بأن أحد مرضـاه يحتاجه بشدة.

كان يعرف أنها سـتثور وتغضـب ولن تغفر له ولكنه في المقابل سـيلقي" سـلمى " وهذا جل ما يتمناه فلم يعد يهتم بما قد يحدث.

*****

عندما ارتبك في حديثه معها شـعرت وكأن هناك فعلا ميعاد آخر ولكنه تراجع عنه كي يخرج معها.. أمعنت في التفكير لكنها افاقت علي فكرة واحدة سيطرت علي فكرها.

رفعت الســـماعة وطلبت رقم العيادة وعندما أجابها عم " علي" أخبرته انها مريضـــه تود الحجز وسـألته عن موعد أخر كشـف في العيادة وعندما أخبرها عرفت أنه مرتبط بميعاد خارج العيادة فقد كان أخر كشف بعيد عن موعدها معه لذا اعتزمت شيئا في نفسها.

ذهبت إليه بعد انتهاء أوقات الكشف بالرغم من أن ميعادها معه بعد ساعتين.

اعترته ربكة حين رآها فلم يكن قد اتصل بعد بـ " مروة " وخشى أن تأتي في أي لحظة فتراها عنده في العيادة.

جلست أمامه وثبتت نظراتها عليه متسائلة: ألم تشتاق إلي ؟

ازدادت ربكته: بلي بالتأكيد، لذلك أنهيت عملي ويمكننا أن نخرج معاً الآن، ووقف كي يحثها علي الرحيل لكنها ظلت جالسـة ووضـعت إحدى سـاقيها فوق الأخرى: لا.. دعنا نجلس قليلاً هنا.

جلس مسـتجيبا لرغبتها ولكنه كان كمن يشـوى علي جمر من نار، كان يخشـي قدوم " مروة " في أي وقت.

ظلت تجول بعينيها في المكان حولها بينما كانت ترقب قلقه بطرف عينيها، اســـتأذنها ليخرج قليلاً، كانت تعرف أنه ذاهب ليتصل بها ليلغي موعده ولكن ذلك لم يثنيها.

دقائق وعاد إليها، شـــتان بين حالة قبل وبعد أن عاد، ذلك الارتياح علي وجهه والهدوء في نبرات صوته، كل ذلك جعلها تبتسم ابتسامه لم يفهم هو سببها.

اقترح عليها أن يلعبوا لعبة مسـلية يفضـل أن يلعبها مع الاعزاء عليه فقط، وافقت لكنها أرادات أن تعرفها في الأول.

اخبرها أنها مجموعة أسـئلة كل منهما يسـأل الآخر سـؤال والآخر يجيب بإجابة خطأ ثم الآخر يعيد ذلك ومن يخطأ ويجيب إجابة صـــحيحة يعاقب أو يطلب من الاخر شـــيئا لينفذه.

وافقت فقد كان تتمني أيشئ يضيع الوقت حتى يحين الوقت الذي حددته ليخرجا معاً.

ســـألها عن مهنتها فأخبرته أنها محامية بينما هو أخبرها أنه مهندس فعاد ليســـألها عن اسـمها كاملاً، دون وعي منها أخبرته باسـمها كاملا فعلا بينما هو ابتدع اسـم آخر سـألته إن كان خاطب فأجابها بنعم، كانت إجابته بثقة مما جعلها تبتســـم لقدرته علي الكذب بينما أجابته هي بلا مما أقلقه فقضـب جبينه ثم سـرعان ما ابتسـم ثم ضـحكا أشـار إليها بأنها هي الخاســـرة لذا يجب أن تلبي طلبه، لم يلحظ نظرة الدهاء في عينيها وقالت: ومن أخبرك أنني اخطأت، أنت سألتني إن كنت مخطوبة وأنا قلت لا ؟

_ها أنت تقولين الحقيقة أخطأت، لا تحاولي التهرب (وعاود ضحكه)

_ بل أنني اعتبر نفسي مخطوبة بالفعل لشخص أحبه.

توقف عن ضـحكة وبدت عيناه تبرق ببريق أخر ورفع حاجبيه إعجاباً، كان ينوي فعلا أن يفاتحها بما يشـــعر الليلة ولن ينتظر إلي يوم آخر ولكن في أي مكان غير العيادة فكل شـئبها ليس له حتى تلك الكتب المتراصـة في تلك المكتبة لتضـفي وقاراً لم تكن له.. وذلك الكرسي وهذا "الشاذلونج" كل شيء، أراد أن ينسى أو يتناسى ما يعتمل في قلبه من صراع ويحسم قراره فلن يستطيع أن يظلم نفسه أو يظلم " مروة " بالزواج منها.

_دعينا نكمل لعبتنا.

ثم عادت تسأله فقد كان دورها: هل جربت إحساس الظلم؟

فكر قليلا فقطعت تفكيره: لا ليس من حقك التفكير أجب بسرعة

أجابها بنعم ثم سـألها فأجابته بلا، أصـبحت ملامحه محايدة ولكنها سـرعان ما وجهته بسؤال أخر: هل سبق وظلمت أحد؟

أجابها في عبوس : لا ،ضحكت ضحكة مفتعلة: ها قد أخطأت.

كانت تعرف أنه لم يخطئ لكنها تظاهرت وكأنها لم تفهم ذلك ظل العبوس علي وجهه بينما قال:"سلمي " ارجوك كفي تلك اللعبة ودعينا نذهب من هنا.

حاولت أن تبدو لامبالية وتتحدث طبيعيا ولكن اختنقت الكلمات بحلقها وشعرت وكأن دموعها ستفضحها فوقفت فجأة واعطته ظهرها متجه إلي الباب ولكن دون قصد سقطت حقيبتها فأسرع إليها ليجمع الأغراض معها.

تجنبت أن تتلاقى أعينهما كي لايري الدمع المترقرق فيهما بينما كان هو يرمقها بنظرة ما بين الاعجاب والرهبة، كل يوم كان يراها فيه يزداد إعجابه ليس بشكلها كما كان يظن في البداية أو كما تظن هي، بل بتلك الطريقة التي تحدثه بها وكأنها دائما صاحبه حق لديه وكأنها تسكن قلبه منذ زمن وكأن بينهما عهد قديم بألا يفترقا.

****

وصلا إلي إحدى المطاعم التي اختارتها، مضى الوقت طويلاً ثقيلاً علي روحها، أخذت تنظر إلي ساعة يدها بين الحين والآخر ولكنها حاولت أن تواري قلقها عنه.

كانت مشاعرة مضطربة وكأنه أول مرة يتحدث إليها، أحس أن دقات قلبه تفضحه حتى أنها تكاد تسمعها.. لملم شتات نفسه ليواجهها بإحساسه نحوها الذي كتمه طول الفترة السابقة.

_هل فكرت من قبل أن تتزوجي من شخص يريدك دون أن تخشي أحد ودون أن تنتهي قصتك بكلمة "ما ينفعش" كما كنتي تقولين ؟

_نعم فكرت وتمنيت أيضالكني لم أجد ذلك الشخص للآن.

_"سلمي " هل تعلمين حقا أنني اتمني طول عمري أن أجد من يحبها قلبي وينتفض لرؤيتها.. امرأة تملك عقلي، تسكن روحي فلا أعيش بدونها، بل والأكثر من هذا كله أن تحبني وتبادلني شعوري دون زيف أو مصالح.. هل تعتقدين أن هذا ممكن؟

تظاهرت بعدم فهمه وكأن شئيا لا يعنيها: ممكن لكن في هذا الزمن قد يكون صعبا إلي حد ما.

_وماذا لو وجدت تلك المرأة!.

ابتسمت دون أن تجيبه وأكملت تناول طعامها.

_" سلمى" أنا أحبك، واتمني أن أعيش معك عمري كله.

قالت بتأثر زائف :يوسف إنك لم تفكر جيداً، أرجوك لن أتحمل أي جراح جديدة.

كانت سعيدة في داخلها وإن تظاهرت بحزن عميق يكسو وجهها.

_هل تعتقدين أنني غير جاد في طلبي.. فكرت جيداً، وأعرف أني لا أريد سواك لتشاركيني أيامي وأريد أن أعرف ردك ؟

صمتت ،لم تكن تدري لماذا لا يمر الوقت في ساعتها تلك الساكنة بيدها..كانت تعرف أنه ينتظر ردها.. أن تنطق بأي شيء،قصدت أن تتركه فترة في حيرته وترقبه.

_دعني أفكر في الأمر..أنا لم أشف من جراح قلبي بعد.

تناول أصابعها بين يديه فشعرت بقشعريرة تسري في جسدها فسحبت يدها بسرعة، حاولت أن تداري ارتباكها عندما نظر إليها دهشاً ورسمت ابتسامة خجل علي وجهها: أخشى أن يرانا أحد.

ابتسم وعاد ليتناول يدها بين يديه ثانية، لم تستطع أن تمنعه في تلك المرة .

الفصل التاسع

_"إذن فهي حقاً التي أبعدتك عني!!"

انتفض واقفا بينما " سـلمى " لا تبالي وكأنها لا تعرف شـيئا، أذهلته المفاجأة ولم ينطق سوي بأسمها في ذهول" مروة "

علا صوتها وهي تحدثه: لماذا يا يوسف ؟ اخبرني ماذا فعلت لك كي تفعل بي هذا.

قطعت " سـلمى " حديثه قبل أن يبدأ لتسـأله في دهشـة وغضـب: من هذه ؟ وبأي حق تتحدث هكذا ؟

من بين ثورتها ونيران الغضـــب التي تتراقص أمام عينيها قالت:إنني خطيبته.. أم أنك لم تكوني تعرفين عندما خرجت معه.

ارتسمت الدهشة علي وجهها وعلا حاجباها : خطيبته !!

ثم أدارات عينيها ليوسف فوجدت العرق يكسو وجهه، لم تحتاج أن تسأله ليجيبها.

_أنا آسف، أنا.

لم تدعه يكمل كلامه وسحبت حقيبتها وأسرعت مهرولة إلي الخارج.

حاول أن يجري خلفها كي يلحق بها لكن " مروة " أمسك بذراعه: إلي أين؟

نظر إليها حانقا وعادينظر علي" ســـلمى " فوجدها اختفت عن الأنظار، حدجها بنظرة أحر من الجمر وكل نيران الغضـب تعتمل في نفسـه، مرر أصـابعه في شـعره بعصـبية ثم تهاوى علي كرسيه ودفن وجهه بين راحتيه.

جلسـت أمامه وهي ترمقه بعينين تغرقهما الدموع ويكسـو وجهها الآسـي :إلي هذا الحد لا تطيق النظر إلي ؟ إلي هذا الحد لا تحبني ؟

رفع رأسه إليها نافذ البصر، حانق النفس: ماذا تريدين الآن مني؟

_ماذا أريد ؟! لا شيء .. حقا لا شيء.

همت أن تقف لتغادر كرســيها فأمســك بذراعها برفق وأجلســها: أرجوك ما دمت هنا ورأيت كل شيء فدعينا نتحدث بهدوء.

_أي هدوء تحدثني عنه .. يوســف هل تعتبر ما حدث شــئ عادي أو تافه وأنني أعطي الأمور أكثر من حجمها، صدقني لو قلت لي ذلك لن أغضب ولكن أخبرني الحقيقة.

_أهدئي أرجوك.

زفر زفرة حادة لينفث بعض الغضـــب من داخله: " مروة " أعلم أننا مرتبطان منذ فترة وربما يوما شعرت نحوك بشيء ظننته وقتها حباً ولكني لن أستطيع أن أخدعك طويلاً.

أمام نظراتها المستنكرة توقف، شعر أنها لن تفهمه ولكن كان عليه أن يحاول حتى ولو لم تفهمه أو لم تقدر شعوره.

_" مروة" أنت فتاة جميلة وغنية أيضاً، صدقيني زواجك مني سوف يتعسك، عندما خطبتك لم يكن ذلك سوى عرفانا بالجميل لوالدك الذي طالما ساعدني ولكنك لا ترضي أن أخدعك أو أن نعيش معاً حياة تعسة.

من بين دموعها المتوسلة: يوسف أرجوك كف عن هذا، لا أستطيع أن اتخيل انك فكرت في هذا.. أنا أحبك وأنت أيضا تحبني؟ ارجوك لا تنكر هذا ولا تحكم علي وعلي نفسك بالضياع.

وعاد نحيبها يعلو، امسد يديها مهدئا: صدقيني إنني أفعل ذلك من أجلك .. لن أرضي لك حياة مهينه معي.. لن أستطيع أن أضمن لك حياة ثرية كما اعتدت ولن أرضي طويلا بمساعدات والدك لي.

_يوسف لماذا تنظر إلي هذا فقط، لماذا لا تفكر في ماذا أفعل من دونك ؟ أنني أحبك، هل تفهم معنى ذلك أم إنها أعمت عينيك عن حبي، أخبرني.. أخبرني أنها هي السبب

في فراقك لي.. تركتني اليوم لتلقاها، كنت تهرب مني إليها.. لماذا يا يوســـف ماذا ينقصني عنها؟، أنا....

ـ كفى..سلمى ليس لها دخل بأي شيء ، تلك الخطوة كانت ستحدث الآن أو لاحقاً، لم يكن زواجنا ليتم وإن تم فلن يعيش.. أرجوك افهميني هذا أفضـــل لي ولك .. ربما ستنجرحين قليلاً ولكنك سريعا ما ستنسي وتبدئي حياتك مع شخص يهبك العمر كله والسعادة أيضاً.

نفضت يديها من يديه في عصبية: ليس أفضل لي بل لك وحدك.. إنسان أناني لم تفكر إلا في نفسك فقط، اليوم معي وغداً مع غيري.. لا يهم، المهم هو يوسف، من يرضي غروره، أليس كذلك ؟!

أطرق ولم يجبها فعاودت حديثها في عصبية أكثر: حتي تلك المريضة لديك، ما اسمها، آه تذكرت "هناء" ،أعلم جيداً انك وعدتها بشيء وأن علاقتك بها لم تكن مجرد علاقة طبيب بمريضته بل..

صاح بها مقاطعا: كفى

_لا لن أسكت.. ربما وقتها حاولت تناسي الموضوع ولكني لن أنساه الآن لن يكون مصيري مثلها يا يوسف صدقني.

وقامت من مقعدها وقبل أن تتحرك أشارت إليه بسبابتها : أعدك أنك ستذوق ذلك العذاب وقريباً جداً ، إن لم يكن من تلك الفتاة فمن غيرها وإن لم يكن فعلي يدي أنا.

وغاصت عبارتها الأخيرة في صوتها المختنق ودمعها المتحشرج واندفعت خارجة من المطعم..

عاد ليدفن وجهه بين يديه ويشعر أن ناراً تخرج من أنفاسه تحرقه.

لقد أضاع كل شيء.. لم يكن يندم علي "مروة" أو يخش تهديدها ولكن ماذا يفعل كي يصلح علاقته بـ " سلمى " هذا ما كان يهمه الآن.

عادت إلي منزلها تكاد تطير من فرحتها.. كل ما حسبته وجدته أمامها.. اليوم اعترف لها بحبه ورغبته في الارتباط بها وحضور خطيبته في الوقت المناسب لتعرف كل شئ.

اليوم فقط شعرت وأن جزءاً من نارها قد انطفأت ولم يبقي سوي شعله صغيرة ستنطفأ بعد بضعة أيام عندما يخسر كل شئ ويخسرها هي أيضا.

تعجبت من نفســـها وقدرتها علي ذلك الانتقام هي التي لم تكن تقوى علي جرح أحد، تنهدت تنهيده حارة لتنفث بعض صراعها.

جلســت أمام التلفاز، حاولت التظاهر بالانشـغال في أحداث الفيلم أمامها دون جدوي فقد عاد ذهنها إلي نفس صـراعها فاسـتسـلمت له دون أن تتراجع عن خطواتها في شـئ وحين غلبها فكرها استسلمت لنوم يمحي الصراع من علي مسرح تفكيرها.

كانت منشرحة الصدر حين قابلته في اليوم التالي في الشركة.. لم يحدثها طويلاً متظاهراً بالانشغال في عمله ولكنه اتفق معها أن يخرجا معاً بعد مواعيد العمل.

ظلت حائرة لم تصـــدق مقابلته الباردة تلك، لابد أن هناك شـــيئا يزعجه ولكنه لا يريد التحدث فيه في العمل.. انقبض قبلها وانتابها ضيق لم تستطع تناسيه.. ظلت تعد تلك الساعات لتمضي وتلقاه.

الفصل العاشر

مرت عليها اللحظات ثقيلة خانقة، لم تكن تركز في شـــئ مما أمامها.. ارتفعت دقات قلبها لتسد أذنيها وتفقدها شعورها بمن حولها.

قامت فجأة واتخذت طريق مكتبه وجهتها ، دخلت المكتب دون أن تطرق الباب، رفع نظره إليها في دهشة متسائلة: ماذا هناك ؟!

_أحمد أريد أن أعرف ما بك ،ملامح وجهك تقلقني.

اختفت تلك الدهشة عن وجهه وأصبحت ملامحه محايدة أميل للعبوس.

_ ألم نتفق أن نخرج اليوم سوياً وسنتحدث كثيراً.

_لا أستطيع الانتظار أكثر من ذلك.

هدأت نبرات صـــوتها مضـــيفه وهي تلمس ذراعه: ماذا حدث ؟! لما هذا العبوس علي وجهك.. أنك تزيد من قلقي دول أن أعرف السبب.

بدأت ملامحه في اللين ولكنه تراجع في إصرار علي موقفه: "سلمى " أرجوك لدى عمل الآن.

انسحبت من جواره وتقدمت نحو الباب: حسنا ولكنك ستخبرني بلاشك.. أليس كذلك ؟

أومأ برأسه دون أن يبتسم وعاد إلي كرسيه ،بعد أن رحلت دفن وجهه بين راحتيه وكل ملامحه تنطق بقلق وحيرة تعتمل في صدره ولا يستطيع التنفيث عنها، لم يكن أقل منها رغبة في أن يمضي الوقت سريعاً.. أراد أن يسألها.. أن يطمئن قلبه ولكن لم يكن ليحدثها في الأمر في مكتبه، يعرف أن صوتها سيعلو وكذلك هو لن يتحكم في انفعالاته ولن يستفيد شيء لذا آثر الخروج معها.

طوال الطريق لم ينطق بكلمة.. ظلت ترقبه في صمت، كان القلق الذي يعتمل بنفسها يزداد مع زيادة العبوس المرتسم علي وجهه الساكن.

انقبض قلبها حين توقف عند ذلك المطعم الذي كانت فيه البارحة، نظرت إلي وجهه لترى تعبيراته لكنه فتح الباب المجاور ونزل من السيارة، نزلت بدورها وحاولت التظاهر باللامبالاة وكأن شيئا لا يعنيها لتخفي ذلك البركان داخلها وتلك التساؤلات التي غلبت عقلها.

عندما جلسا حاولت أن تفتح معه الحديث، أن تتظاهر بأن شيئا لا يقلقها ولكن انفرجت شفتاها عن لا شيء فعادت تطبقهما من جديد.

ثبت عينيهعلى وجهها محاولاً ثبر أغوار نفســـها وما يعتمل بعقلها، لم يدر كيف يبدأ كي يتجنب ثورتها ولكنه في النهاية قرر البدء لأن نظراتها المتسائلة تحاصره وتذبذب فكره.

في هدوء مصطنع قال: هل رأيت هذا المكان من قبل ؟

بدت الربكة علي وجهها، لم تكن لتكذب عليه لذا قررت أن تراوغه السؤال:

أنه جميل جداً، كيف عثرت عليه؟.

_لقد دعاني صديق هنا الليلة الفائتة.

ألقي مفاجأته وظل منتظراً رده فعلها، لم تعلق وانهمكت في الأكل أمامها وكأنها لم تسمع كلماته.. لقد أضحى شكها يقينا ،انه رآها في صحبته بالأمس.

_من كان ؟!

رفعت عينيها إلي عينيه وثبتتهما ،كانت تعرف أنه لا مفر من كشـــف الحقيقة فلم تكن من هواة المراوغة أو عاشقي الكذب.

_أنه طبيب نفسي.

قالتها بهدوء زاد من دهشته التي تجسدت علي وجهه كسحابة تأبى الانقشاع.

_منذ متي تذهبين إلي طبيب نفساني وكيف لم تخبريني بهذا الأمر؟!.

نظر واحدة إلي وجهه القلق الحنون كافية لتؤكد أنه لم يفهم حقيقة تلك الزيارات، لم ترد أن تعلق فخفضت عينيها كي تختبئ من عينيه.

_لماذا خرجت معه أمس في مكان عام، ألم تكف العيادة ؟

التفت إليه لتواجه نظراته في هدوء: أحمد هل تثق في ؟

أجابها بصوت المغلوب علي أمره: هذا ما يحيرني، لم أشك لحظة في حبك لي ولكن عندما رأيتك معه لم أصدق عيني، كنت علي وشك أن أخنقه بيدي ولكن تمالكت أعصابي من أجلك ،كنت أنتظر أن تأتي إلي وتخبريني عن كل شئ ولكنك تأخرت أليس كذلك ؟

حاولت أن تجمع شتات نفسها المبعثرة وتجد أنفاسها لتلقي ببقية مفاجأتها: أنك لم تسأل ما اسم الدكتور ؟ .. أنه دكتور " يوسف إسماعيل" هل تذكره.

كانت إماءة خفيفة من رأسها كافية أن تؤكد شكوكه وتذيب تلك الدهشة علي وجهه ،حاولت أن تدفن حزنها وربكتها في الأكل أمامها فأخذت تلوكه وتقطعه في عصبية .

_ماذا تنوي أن تفعلي؟

_كما أخبرتك من قبل سآخذ ثأر أختي..

_إنك تلعبين بالنار، لن يفيدك أي شئ صدقيني.

_ماذا تريدني أن أفعل، هل اتركه هكذا يهنأ بحياته ويعيشها كما اختار دون أي حسابات أخرى.

حاول أن يهدأ من ثورتها : " ســـلمى " مازال القرار في يدك ،يمكنك أن تنهي كل ذلك العذاب لنفسك ولي معك.. كما إنني أخبرتك أنه لا ذنب له إنها ..

قاطعته بثورة :إنها ماذا ؟ أكمل يا "أحمد"،إنك تدافع عنه لأنه رجل مثلك ،لن تري أنه مخطيء ولأنها ليست أختك أنت لا تشعر بتلك النار التي تأكلني حين أذكرها.

_بل أشعر بك وأفهم ثورتك لكن صدقيني انتقامك لن يعيدها ولن يشفي نيران قلبك.

صـــمتت قليلاً كمن يتخذ قرارا فيفكر فيه مليا: أحمد لقد قضـــي الأمر، لم يعد هناك مجال للتراجع .

ضيق عينيه وقطب حاجبيه: لا أفهم.. ماذا تعنين ؟

_أعني ما قلته، فات وقت التراجع.. خطتي تسير في طريقها ونفذ سهمي إليه.

امتزجت ملامحه بالألم الممزوج بالمرارة: " سـلمى " لن أسـتطيع أن أعيش مع كل نار الانتقام تلك، لسـت أنت من أحببت، من أحببتها لم تكن تقوي علي جرح أحد، رقه قلبها تمنعها أن تقذف حجراً علي كلب ضال بينما أنت تخططين وتنفذين.. تلك النيران سـتحرقنا قبله، أرجوك فكري جيداً، لن يولد الحب في قلوب ملأتها الكراهية والانتقام صدقيني.. أرأفي بقلبي وبقلبك لا تدمرينا.

_لماذا تربطنا به، أنت تحبني وأنا أحبك فلن يقف أحد في طريق سـعادتنا، نحن لم نظلم أحد ولم نبني سعادتنا علي تعاسة آخرين فلا تخشي شيئا.

_أنني الآن اخشاك أنت يا"سلمى "

أذهلها حديثه وقبل أن تسـأل: نعم أنت، اخش من نيرانك.. اعرفك جيداً عنيدة ولن تتراجعي عما نويت ولكني لا استطيع.. لن استطيع أن أكمل في تلك المسرحية البائسة.

_أحمد أنا أحبك ولن أعيش بدونك.

_إذن دعينا نهنأ بحبنا ونتزوج وننسي كل ذلك ، أنا ..

_كفي إنك لن تفهمني ما حييت، ربما تحبني ولكنك الآن تقرر أن تتركني وحدى ولن أمنعك، ولكني لن اتراجع عما نويت.

قامت من مقعدها ولكنها قبل أن ترحل استجمع شجاعته ليحدثها، نادي اسمها فنظرت إليه وفي عين كل منهما قوة لا تقل عن الآخر وتحدي لا ينتهي ولكنها لا تخفي حب دفين يحمله كلاهما للآخر: "سلمى" عليك أن تقرري وتختاري إما طريقك الذي رسمتيه لنفسك وملأتيه بالحقد والكراهية او بين حبي وقلبي وحياتنا معاً.

لم يفاجأها قوله فقد توقعته منذ دقائق، شعرت أن يداً تعتصر قلبها تعذبها دون أن تنهي حياتها كي تنهيها من ذلك العذاب، أجابته ساخرة ومرارة تملأ حلقها: إذن فقد اخترت وتطلب مني أنا أن أعلنها.

_ أنا لم اختر شيئا، أنني ادعك حرة لتقرري وما أصعب قرارك علي.

_انسني يا أحمد فأنا لن أتراجع عما عزمت .. وتهدج صوتها مضيفه:

حتى ولو خسرت قلبي وخسرتك أنت.

ورحلت تاركة خلفها إعصاراً اسقطه علي كرسيه ،في ذهول لم يفق منه تلك المرة ودون وعي منه ظل يردد اسمها كشيء عزيز ضاع من يديه وسابت دمعه حارة من عينيه وكأنها جمر يأبي المكوث أكثر في مقلتيه.

الفصل الحادي عشر

لم تكن ترى الطريق من بين دموعها التي كســـت وجهها غير عابئة بالطريق وأعين المارة المتسـائلة عن سـببها، ألقت بنفسـها في أول تاكسـي رأته فتحرك بها، أراد أكثر من مرة أن يسألها عن وجهتها ولكنه تراجع، لم تكن بحالة تسمح لها بالحديث..

ظل يدور بها علي غير هدى.. بل لم يستجيب لإشارات المارة إليه فقط كان يرمقها في المرآة أمامه في وجد ولو وجد شـجاعه لسـألها فيم كل ذلك الحزن وتلك الدموع التي أغرقت عينيها الجميلتين.

بعد قليل أخبرته أن الطريق الذي يســـلكه ليس وجهتها وأعطته العنوان وأوصـــلها إلي المنزل.

لم يكن سهلاً علي والداتها أن تراها هكذا تزوي أمامها، حاولت أن تعرف السبب ولكن دون جدوي اخبرتها أنها تبكي اختها فانهارت الأم معها في نوبة بكاء وكل يبكي علي ليلاه..

ظل رقم يوسـف يتردد كثيراً علي هاتفها دون إجابه، ودت لو ردت عليه لتخبره كل شـئ وتطلب منه أن يبتعد عن حياتها ولكنها تعرفإنها هي من اختارت وليس أحد سواها.

****

كان صعبا عليها أن تواجه عيناها عيني أحمد دون إلقاء السلام أو حتى أن تتحدث إليه وكأنهما غريبان عن بعضهما، كان يتجنب نظراتها، لم تخطأ في تقدير موقفه.. لقد اتخذ قراره الذي لن يعود فيه.

في ذلك اليوم ترقرقت الدموع في عينها فلمست قلبه، ود لو ينهي ذلك العذاب لهما لكنه لم يستطيع، انسحب إلي حجرته ودفن حزنه بين راحتيه وقلبه وعقله في صراع محسوم.

انتبه علي صوت مديره فقام احتراما له محاولاً نفض ذلك الصراع عنه كي لا يبدو علي ملامح وجهه، أشار له مديره أن يجلس فلم يرض ولكنه ألح عليه.

أخذ يتأمله بنظرة فاحصة ،نظرة العارف والملم بخبايا النفوس ثم سأله: ماذا حدث بينكما؟

ارتبك وبدي وجهه حزينا، اعاد سؤاله مرة أخرى..

في تلك المرة لم يستطيع إلا أن يجبه: لقد تركنا بعضنا.

تعجب لإجابته فلم يكن يتوقعها اخر ما تخيل أن تكون اصــرت علي عدم الارتباط الأن فقامت بينهما خلافات ســرعان ما تنتهي لكن أن يتركا بعضــهما شــئ لم يخطر له يوما ببال.

_هل تقصد حقاً ما تقول ؟

_نعم.. لقد انتهي الأمر.

_يا بني، أي مشـــكلة في الدنيا ممكن حلها، ما كان الانفصـــال والهجر يوما طريقة لمعالجة الأمور.

_حاولت صدقني.. لقد خيرتها بيني وبين ما تريد فأثرت تركي.

اطرق خجلاً فلم يكن ليخبره بأمرها لكنه لم يدر كيف يرد.. لم يحتج الرجل إلي كلام صريح كي يفهم ما بداخله: حسناً، حقك ألا تخبرني وألا تخبر أحد أخر لكن أريدك أن تعلم انها تحبك وتتألم أكثر منك، رأيت هذا علي وجهها أكثر مما رأيته علي وجهك، ليس من السهل أن تضحي المرأة بحبها خاصة وإن كان هذا الحب هو حب " سلمى " لك.

_ماذا أفعل؟، هل تعتقد أنني فرح بتلك الحال التي وصـــلنا إليها.. أنني منذ ذلك اليوم لا استطيع النوم، لا اتخيل حياتي وقد خلت منها.

تهدج صـــوته وهو ينطق بتلك الكلمات ،ربت علي كتفه في حنان أبوي: أحمد حاول معها مرة أخرى.. انها تستحق المحاولة وحبك يستحق ذلك.

بدأت عيناه تلتمع بأمل جديد، ربما يستطيع أن يقنعها.. ربما ثورة غضبها هي فقط التي اعمتها عن قرارها الصواب والآن قد تعود فيه.

نظر إلي رئيســـه فدعمه الرجل بنظرة واثقة مطمئنة، انصـــرف مســـرعاً من مكتبه ولكن سرعان ما عاد ليتأسف للرجل لرحيله هكذا فابتسم له في تسامح..

وصل إلي مكتبها فوجدها قد رحلت، فترت حماسته.. كان مفعم بأمل رجوعها ولكنه لم يجدها الآن.

لم يستطع أن يذهب إلي منزلها، كان يخشي أن تكون قد أخبرت والدتها بشيء فيكون موقفه صعب وود لو أنه يستطيع أن يتصل بها ولكنها ربما تظن أنه يوافقها فيما تفعل.

قرر أن ينتظر اليوم التالي ليتحادث معها ربما لينبت أمله من جديد وبات ينتظر الغد وكأنه ميلاد جديد له ولأحلامه.

****

مرت الأيام سـريعة وهي لا تأتي إلي العمل مما زاد شـكوكه وقلقه عليها حتى نفذ صـبره في يوم واتصل بمنزلها فأجابته والدتها وهذا الذي لم يكن يتمناه، سألها عنها وعن سبب غيابها عن الشـــركة طوال الأيام الماضـــية فأخبرتهإنها منذ عدة أيام وهي تنطوي علي نفسها ولا تغادر غرفتها إلا فيما ندر حتى الطعام لا تتناوله إلا بالشجار .

شـــعر وكأن قلبه يتقطع، أنه يعرفها جيداً ومتأكد من حبها ورقتها مما زاد خوفه عليها، أفاقه صوت والدتها وهي تسأله إن كان متشاجران.

تلعثم في البداية ولم يدر بما يجيبها هل ينكر أم يخبرها بالحقيقة.. كان يخشي من تلك الحقيقة فهو ليس من حقه أن يبوح بشيء.

أخرجته من ورطته عندما أخبرته أنها تشـعر أنهما علي شـجار ولكنها لا تعرف السـبب وتتمنى أن يعودا كما كانا.

بدا صوته أهدأ وهي يعدها إنه قريبا سيعود كل شئ إلي وضعه الأصلي ثم طلب منها أن يتحدث إليها ولكنها أخبرته إنها خرجت وعندما سألها إلي اين أخبرته أنها لا تعلم .

انهي المكالمة ومشاعر شتي تتقازفه وتشعل النار بداخله.. فهي بالتأكيد معه الآن، هذا ما سيطر عليه وتملكه .

لم يدر فيما يفكر وماذا عليه أن يفعل فهو يتمناها ويتمني أن يعود إليها ولكن لن يرضي أبدأ باستمرار مسرحيتها، ودلو أنه ذهب إلي" يوسف" وأخبره بالحقيقه وبذلك ينهي كل شئ ولكن يمكن ألا يصدقه وإن صدقه هل سيبتعد؟! .. وماذا ستفعل هي؟ ،هي لن تسامحه أبداً علي إفشاء سرها وسيخسرها إلي الأبد، هو يعلمها جيداً ورغم ذلك لم يملك نفسه وهرع إلي سيارته وذهب إلي العيادة التي عرف عنوانها من دليل التليفونات.

ظل منتظراً أسفل العيادة، فرح في البداية عندما لم يجد سيارتها ولكنه آثر الانتظار، وعندما طال الوقت وهم بالرحيل رآهما يرحلان معاً.. لم يلمحاه فقد كانت سيارته بعيدة عن محط أنظارهم، أخذت الغيرة تنهشه والنيران تشتعل بقلبه تكاد ألسنتها تتصاعد لتحرق من حوله.

لم يحس إلا بقدمه تضغط دواسه "بنزين" وأدار سيارته مبتعداً عن المكان في سرعة

وكمن لمحت سيارته في الأفق فاضطربت دقات قلبها ولكنها سرعان ما نفضت ذلك الخاطر عنها، فما الذي يدعوه إلي الحضور إلي هنا، هذا ما أخبرت به نفسها وتجسدت ابتسامة كسيرة علي وجهها ودموع حزينة ملأت مقلتيها فحجبت الرؤية أمامها، لم تشعر إلا بيوسف يطلب منها أن تجلس إلي جواره في السيارة، دون جدال ركبت فما أمامها الآن سوى أن تكمل مسيرتها التي بدأتها.

عندما جمعتهما منضدة واحدة ظلت ناظرة إليه فترة وهو يتحدث وهو يؤكد لها أنه أنهى كل شيء مع "مروة " وأنه لم يعد سواها بقلبه.

_" سلمى " أنني أحبك هذا إحساس لم أشعر به مع واحدة سواك .

في برود سألته: وماذا عنها ؟

كانت روحه تناجيهافي توسل أن تصدق كلماته: صدقيني أنهيت كل شئ معها.. لم أكن احبها، لم تكن سوى عرفان بالجميل الذي اكتشفت بعد وقت طويل أنني لا يمكن أن أرده بهذا الشكل، لم أستطع أن استمر في تمثيلي أكثر لم ينبض لها قلبي، كانت مسألة وقت وينتهي كل شئ.. إن لم تكن هي قد ملت مني كنت سأتركها.

اجابته في نفس برودها وهدوء أعصابها الظاهري الذي لا يعكس شيء من اضطراباتها الداخلية :وما فعله والدها معك ألا يستحق حتى التقدير.

_ربما ساعدني حقا لكن أنا من كون سمعتي وبنيت نجاحي بجهدي وتعبي.

_أو تعتقد أنه سيتركك هكذا بعدما تركت ابنته وجرحتها؟!.

_أنا لم أجرحها، هي التي لم تستطع يوماً أن تفهمني ،أما بالنسبة لوالدها فسأترك له العيادة فهي باسمه.

بدت نظرة مبتسمة في عينيها اعقبتها بسؤالها له: وماذا عن مرضاك ومستقبلك أنك هكذا ستفقد كل شيء؟.

ابتسم لها ظانا انها تخشي عليه وعلي مستقبله فتناول يدها بين يديه وضغط عليها مطمئنا :لا تقلقي كما أخبرتك العملية كانت مسألة وقت لذا كان علي أن أحمي نفسي جيداً وقد أجرت عيادة أخرى في مكان أخر في بلدتي حيث مرضاي يعرفوني وكذلك أهل بلدتي.

بدت نظرته المطمئنة مهينة لها ولإنتقامها لذا قررت أن تنهي كل شئ قريباً جداً بعد أن تطمئن أنه فقد "مروه " إلي حيث لا رجعه.

نظرت حولها فرأتها ترقبهما من بعيد فابتسمت لنفسها فهي لم تنس أن تطلبها تليفونيا لتخبرها أنهما اليوم معاً وكأن شيئا لم يكن ، اقتربت منه أكثر ولامست وجهه بأناملها واتسعت ابتسامة تمثيلية علي شفتيها وراقبتها بطرف عينيها فرأتها تنسحب في حسرة.

****

أخبرتها والدتها عن عند عودتها بمكالمة أحمد، انفرجت أساريرها وكاد قلبها يتوقف من الفرحة، إذن فقد سامحها ولن يعترض علي أعمالها ويمكن أن يعودا لبعضهما، كانت مشتاقه إليه وإلي ذلك الأمان الذي لم تشعر به إلا قربه وإلي لهفة عينيه وهو يسأل عنها

.

ودت لو تخبره بأن كل شئ أوشك أن ينتهي وتنتهي حلقات سلسلتها التي عقدتها بإحكام حتى اوشكت أن تقتلها هي نفسها.

مرارا حاولت الاتصال به لكنه لم يجيب مكالماتها فظنت أنه قد يكون نائمًا فلم ترد أن تزعجه وآثرت أن تلقاه في اليوم التالي في العمل، وظلت اللحظات تمر عليها ثقلية طويلة ولكنها مليئة بروح جميلة افتقدتها في الأيام الماضية.

استلقت علي سريرها واغمضت عينيها لتجسد صورته في مخيلتها فرأت "يوسف" أمامها بنظرته المتوسلة إليها فانتفضت من نومها لتطرده من ذاكرتها وعادت ذاكرتها إلي أحمد وهدأت ملامح وجهها واستكانت لصورته وشئ بداخلها يهتف باسمه في خوف فتطمئنه بأن كل شئ سيعود كما كان فهو لن يستطيع أن ينسي حبه وينساق خلف غضبه الذي أبعده عنها كثيراً.

****

الفصل الثاني عشر

طرقت باب مكتبه في خفة ولم تنتظر أن تســـمع الإجابة ودلفت في خفة إلى داخل الغرفة وابتسامة الدلال ترتسم في عينيها، رفع نظره إليها وانتابته رعشة لم يعرف سببها تحديداً، ود لو يعلق لدخولها هكذا دون استئذان ولكن خانته الكلمات وخانه قلبه فلم يتكلم، عاد ليدفن وجهه بين الأوراق المتراصـــة أمامه ليخفف بعض توتره، تعجبت من ذلك ولكنها لم تبال وبدأت بســـؤاله: اخبرتني "ماما" أنك اتصـــلت البارحة وظننت أن الأمر مهم وحاولت الاتصال بك بعدما عدت فلم تجيب.

_بعدما عدت من أين ؟!

نطقها بعصـبية واضـحة بالرغم من تظاهره بأن ذلك لا يهمه واقناعه لنفسـه بأن كل شـئ بينهما انتهي وأنه لم يعد يهتم لأمرها.

سحابه رقيقة حزينة علت وجهها: نعم كنت عند "يوسف" البارحة

بدأت ثورته في الزيارة وتحول صـوته اقرب إلي الصـياح: في الوقت الذي اعتقدت أنك تفتقديني كما افتقدك، الوقت الذي أحاول فيه بعث حبنا من جديد لتعودي إلي وتنيري أيامي كي نمزق أي ماضي فائتونبدأ حياتنا من جديد تكونين أنت معه، أني..

قاطعته في هدوء يائس: أحمد أنا لم أخفي عنك شـئ وإن كنت تأمل أن انهي هذا الأمر فلم يبق غير خطوة واحدة وينتهي كل شئ صدقني.

_وفيم يفيد ذلك، لن تتغيري ولن تفهمي ،حياتي معك ستصبح مستحيلة بعد كل ما..

_كفي، قالتها في حدة وقامت من مجلسها.

_لن نجتمع علي نقطة واحدة .. كنت مخطئة عندما اعتقدت أنك ربما ندمت علي تركي واشـــتقت إلي كما أشـــتاق إليك فقررت أن نعود كما كنا ولكني كنت واهمة فأنت كما أنت لم يغيرك شيء.

_بل أنت التي تصرين علي هدم كل شئ بيننا ، أنت..

اشارت له بالسكوت وبدأ ملامح وجهها تهدأ : لن يفيد النقاش الآن، عن اذنك.

رحلت وتركته في صـراعه المحسـوم، تركته يلتمس أي وجهه أخرى فلم يجد لقراره بديلاً وبدي كمن يساق إلي قاعة الإعدام فقد بترت بعندها كل شئ.

******

عندما سألتها والدتها عن أحمد لم تجبها، لم يكن سهلاً إخبارها أن كل شيء بينهما قد انتهي، ولكن والـدتهـا أبـت إلا أن تعرف مـاذا حـدث بينهمـا فملامحهـا تفضـــح كـل

شئوأخبرتها بسبب زيارته منذ بضعة أيام.. هنا لم تتمالك نفسها وارتمت عليصدرها وقد علا نحيبها واخبرتها أن كل شـئ انتهي، لم تفهم ولكنها لم تكن لتسـألها وهي في تلك الحالة عن شيء فحاولت أن تهدأ من روعها: ليس هناك مشكلة بدون حل، اهدئي.

_لا يا ماما صدقيني أنها النهاية ولا رجوع.

_أحمد يحبك وأنت أيضـاً وأي خلافات يمكن معالجتها فلا تيأسـي أنها فقط مسـألة وقت.

حاولت أن تتحدث، حاولت أن تعلق ولكن اختنق صـوتها فلم تنطق بشـيء فسـحبت نفسها واختفت داخل غرفتها وقلبها يتمزق.

****

لم تكن تراه كثيراً في الأيام الماضية أو ربما هو من قرر أن يعفي نفسه من ذلك العذاب فلم يحاول رؤيتها، الجميع يرون ذلك السـكون الحزين الذي علا وجههما ولكن لم يسـأل أحد، في البداية ظنوا أنه خلاف عابر وسـيعودان إلي بعضـهما لكن شـيئا من هذا لم يحدث وتكاثرت الأسئلة دون إجابة فاكتفي كل منهم بإجابه افترضها انهي بها فضوله دون أي اعتبارات أخرى.

تعالت الهمسات دون أن تسمع منها شيئا فقد اكتفت بأنين قلبها كطفل يلح عليها في طلب شئ بعيد المنال.

حتى ذلك اليوم لم تكن تعيرهم اهتمام فقد فقدت أحمد ولن يهمها غيره الآن ولكن عندما كثرت همساتهم لم تستطع أن تتجاهلها اكثر فسألت إحداهم فأخبرتها والحزن يرتسم في عينيها: تم نقل الباشموهندسأحمد إلي فرع الشركة في بورسعيد.

عقدت المفاجأة لسانها فلم تنطق وإن تمتمت ببعض الكلمات التي التقطتها أذن محدثتها فأجابتها :هو من طلب النقل فسقطت مغشيا عليها.

لم تشعر بنفسها إلا وهي تناولها كوب ماء، تناولته في ضعف ثم استأذنت في الانصراف.

لم تكون والدتها في المنزل عندما عادت فاتجهت إلي حجرتها لترتشف بين أحزانها، هو إذن من طلب النقل.. هو من قرر أن يبتعد هكذا،،

أخرجت ألبوم الصور الخاص بهما، ظلتتعبث بتلك الصور وتعيد إخراجها منه معاتبة دامعة العينين "بعض الصور تلتقط بفرحه لتحزننا فيما بعد"، هكذا كان حالها وهي تتأمل

لحظات ســـعادتها البائدة معه وتتحســـر علي فقده وأنين قلبها يزداد مع كل صـــوره تجمعهما معا.

لم تستطع أن تتحامل عليه أو أن تلومه ولكنها تمنت لو ظل فقط أمام عينيها يمكنها أن تراه حتى وان نذر ذلك ولكن كيف يقسو عليها هكذا ويمنعها حتى من رؤيته.

بلت الصورة بدموعها فتعود تمحي دموعها كي تري الصور ربما كي تجسده أمامها فيقل حنينها وشوقها إليه.

ابتسمت حين رأت تلك الصورة كانت منذ عام وقد خرجا سوياً، كانت مفاجأة لها.

معصوبة عينيها طوال الطريق، لم يكن باختيارها بل هو من عصب عينيها بذلك "الوشاح" مازالت تحتفظ به خلف الصورة – وعندما وصلت إلي هناك رفع العصبة عن عينيها، لم تصدق جمال المنظر حولها والحيوانات النادرة التي رأتها يوماً..

رغم حزنها ارتسمت ابتسامة كسيرة علي شفتيها الشاحبتين حين رأت تلك الصورة التي التقطتها له في غفلة منه وهو يأكل ثمرة "مانجو" ،حاول أن يأخذ الصورة منها لكنها لم ترض أبداً، كان مضحكاً حقاً.

ظلت تقلب في الصور وتستعيد معها بعضها من ذكرياتها متناسيه نزف قلبها لفراقه ممنية نفسها بأنه سيعود ،لن يصبر علي هذا المنفي الذي فرضه علي نفسه ليعاقبها، غلبها النوم فاستسلمت له محتضنه بعض تلك الصور إلي قلبها.

****

لم يكن أحسن حالاً منها، نعم هو من اختار أن ينقل بدل زميل له لكنه فقط كان يعذب نفسه، كان يتخيلها بذهنه شارداً إلي عينها ووجها الحزين لفراقه، نعم قررا الفراق وما أسهل القرار وما أصعب تنفيذه، لم يكن من السهل أن يتخيل أنه لن يراها أو أنها ليست إلي جواره في نفس المكان..

كان يكفيه أن يلمحها مارة حتى وإن لم تلتقأعينهما لقاء الأحبة فهي أمامه يشعر بها وبوجودها ويتنسم عطرها بقلبه ولكن هنا .. وتلك المسافة بينهما أحس أنه في منفي ولا تطاوعه نفسه في القرار .

أطلق زفرة حادة لم تنفث بعض غضبه أو انفعاله، سمع طرقاً علي باب مكتبه فاستعاد بعضا من هدوءه أو هكذا حاول أن يبدو قبل أن يسمح لهذا الطارق بالدخول.

مجموعة من العاملين معه في الشـــركة يريدون الترحيب به، د ولو رفضـــهم لو رفض احتفالهم بنزف قلبه وأنينه ولكن لم يستطع وتحركت شفاه بكلمات لم يقصدها وتمني لو لم يصدقها محدثة: أهلا بكم.

مرت أيامه الأولى في الشركة كئيبة يشعر بالوحدة شريداً، تمني لو أن يثور علي دواخله.. أن يلعن عقله ليعود إليها وينسي ما حدث منها ولكن هيهات.

عجيبة الدنيا تلك، قلوب تذبل ويذوي الحب منها لينمو في قلوب أخري فتزدهر ويتفتح برعمها.

قلب ينبض بالحب له بينمالا يترك له قلبه فرصة ليشعر بذلك القلب الجديد، لا تيأس هي فيتعلق قلبها به دون أن تعرف شـــيئاً عن قصـــة حبه المبتورة أو عن عذابه الذي لا يشعر به سواه.

شهر مضي منذ رحل عن الشركه، شعرت بنفسها تذوي وذلك البريق في عينيها ونضارة وجنتيها ينحسران، حتى زهرات القرنفل في منزلها تفتقده ولمساته الحانية.

لم تستطع أن تقوي أكثر من ذلك علي بعده، لم يكن صعباً أن تتظاهر أن هناك بعض الأعمال الخاصة بفرع الشركة في بورسعيد وإنها تحتاج إلي بعض الامضاءات، ابتسم

مديرها حين أخبرته ،كان يعرف ان الأوراق لا تحتاج سوي أن تبعث بالفاكس وبسهوله تسوي الأمور ومع ذلك تظاهر بعدم الفهم وسألها إن كانت تستطيع أن تسافر لأن معظم الموظفين مشغولون بأعمال أخرى والآخرون في إجازة.. ابتسمت من أعماقها، لم تكن بالغباء الذي يخيل لها أنه لم يفهم قصدها ولكنها لم تأبه وأخبرته أنها مستعدة للسفر في الوقت الذي يحدده فأخبرها أن الغد اجازةويمكنها أن تذهب بعد غد، رحلت وهي شاكرة لها في قرارة نفسها وظلت تمني نفسها بذلك اليوم ولكنها لم تنس أن تحسم موقفها مع يوسف قبل أن تلقاه.

اتصلت بـــ "يوسف" في ذلك اليوم وطلبت أن تلقاه، كان سعيداً بمحادثتها واتفق معها علي لقاءها.

كانت كلماتها مقتضبة، قليلة الرد ،ساهمة الوجه وهي تحدثه فأثار ذلك انتباهه فسألها وشئ من القلق يعتمل في نفسه: "سلمى ما بك؟

رفعت عينيها لتواجه عينيه وتجيبه في خوف بدي في صوتها المتردد الخافت:

اشعر بالخوف يا " يوسف"

_الخوف ؟!!

_ نعم ،مازالت أي قصة حب تخيفني وأخاف أن تبتعد عني .

_ما الذي يجعلك تقولين ذلك أنا أحبك ولا يمكنني العيش بدونك.

_الحب وحده لا يكفيني لأشعر بالأمان، خاصه وانني أشعر إننا تسرعنا في حبنا.

_أولا يكفيك أنني تركت كل شئ من أجلك؟! ، أما بالنسبة للوقت فما كان الحب يوما يقاس بالساعات .

ترقرقت الدمعات فازدادت جاذبية بعينها الفيروزيتين، أمســـك أناملها الرقيقة بين يديه ليبعث بعض الدفء بها وبعض الطمأنينة متسائلاً: " سلمى" ما بك؟

لم يكن تمثيلا تلك المرة، ليس هو من ترك كل شــئ بل هي التي فقدت أهم شــئ في حياتها من أجل الوصول إليه.

عاد يتحدث طويلاً ولكنها لم تلتقط أي شئ مما قاله، قاطعته متسائلة في ثقة: "يوسف" متى تأتي إلي البيت لتطلب يدي؟.

ظننت أنها ســـتري ارتباك يعلو ملامحه أو بعض التلعثم في كلماته لتلك المفاجأة ولكن شيئا من ذلك لم يحدث..

ابتسم لها في ود وحب: كنت علي وشك أن اطلب منك أن تحددي لي موعد لآتي إلي البيت لزيارتكم.

الآن هي من تشعر بالتلعثم والمفاجأة ،لم تتخيل أنه سيطلب ذلك بتلك السرعة، كانت تظن إنها ربما تحتاج لوقت أطول لتضغط عليه أما الآن فلم يبق سوي ان يدخل البيت وهناك ينتهي كل شئ.. هنا شعرت بقلبها يغوص داخلها فهي من ستحدد متي ينتهي كل ذلك وخلال البضعة أيام التالية علي أقصي تقدير.

لاحظ ارتباكها فسألها وهو مازال محدقا بعينها: ماذا ؟ هل تحتاجين لوقت في التفكير أم أنك لم تتوقعي مني ذلك الآن؟!.

حاولت أن تواري ارتباكها لتجيبه : لا أبداً، فقط ظننت أن...

_ماذا؟ انني سأكون كغيري.. أم أنني اردت فقط التسلية ولا يعنيني الموضوع بشكل جاد؟.

حاولت أن ترسم ابتسامة فوق وجهها وهي ترفع كتفيها كمن يستسلم لأمر ما: في الحقيقة هذا ما اعتقدت.

_لا يا " ســـلمى " أنت لســـت مجرد لحظات طيش أعيشـــها،إنني أحبك بمعني تلك الكلمة التي لم أقولها أو أشـــعر بها مع غيرك صـــدقيني، وحلم أن ارتبط به هو أعز الأحلام وأغلاهاعلي قلبي وفي ســـبيل تحقيق ذلك الحلم يمكنني أن اضـــحي واتحمل الكثير.

لم تعرف لماذا ذلك الاحساس ينتابها الآن.. هل بدأت تصدقه؟ هل لمست كلماته وتراً في قلبها يخبرها أنه يقول الحقيقة، لم تعرف ،ولكن ما تعرفه أنها تســـعي لطريق واحد يجب أن تكمله ،وتجسدت صورة " هناء" فأشعرتها بمرارة في حلقها لم تستطع الأيام محوها وطلبت منه أن يرحلا لأن الوقت تأخر.

الفصل الثالث عشر

كانت في أبهي زينتها وهي تقف أمام مرآتها تكمل ما تبقي من ملبسها: شهر لم أرك فيه يا أحمد، يالقسوتك، هكذا كانت تناجي نفسها ولكن ارتسمت ابتسامة رضا وأمل في عينيها: لكني سوفأراك اليوم، ستكون مفاجأة.

انتعلت حذائها في سرعة وأضافت بعض من ذلك العطر الذي يفضله وتفضله هي أيضاً.

تعجبت والدتها حين رأتها وذلك التحول الذي حل بها، لم تشأ أن تسألها أو تكدر صفوها ولكنها لم تنس أن تعلق علي جمالها في ذلك الثوب، ابتسمت ولم ترد علي تعليق والدتها ثم أخبرتها انها ستتأخر اليوم ورحلت.

شعرت وكأنها ريشة ترفرف عاليا مع أول نسمة من نسمات صباحها هذا، بدت ملامحها جميلة وابتسامة راسخة علي شفتيها زادتها جمالاً وتألقاً، تلك النسمات الهادئة حركات شعرها المنسدل كأشعة الشمس تغمر ظهرها فازداد لمعانا وتناثر بعضه علي وجهها فأمتدت أصابعها في رقة لتعيده إلي وضعه وتعيد تسويته.

مر الوقت عليها طويلاً وهي تنتظر وصولها إلي بورسعيد، سأمت النظر إلي ساعة يدها التي بالكاد تغير إجابتها وكأنها تغيظها.

بدأت دقات قلبها تعلو عندما وقعتيناها علي أولي اللافتات الدالة علي وصـــولها، أخذت تهدئ نفسـها، لم تعرف سـببالإضـطرابها سـوي طول فترة الغياب وكأنها نسـيت سبب تلك القطيعة بينهما أو هكذا حاولت .

أخذت تجيل عينيها في المكان حولها في ســأم وهي تنتظر الســماح لها بالدخول، لم تخبر تلك السـكرتيرة باسـمها، فقط اخبرتها أنها تحمل أوراق مهمة من الفرع الرئيسـي للشركة تحتاج لإمضائه وهكذا مضى الوقت عليها دهراً طويلاً لا ينقضي.

"تفضـلي بالدخول" وقعت تلك الكلمات علي مسـمعها كما تسـقط حبات المطر علي صحراء عطشى.

عدلت من ملبسـها وأمسـكت الأوراق بيديها ،كانت قد أعدتما ستقوله جيدا إن لم يبدأ هو بالكلام وبدأت الكلمات تشتعل في ذهنها وخفقان قلبها يزداد.

دون أن يرفع عينيه إليها قال:تفضلي بالجلوس.

ثم توقفت الكلمات علي لسـانه وجف حلقه عندما رفع عينيه إليها، ارتسـمت ابتسـامة هادئة علي وجهها ثم جلست أمامه لتواجه بعينها.

خانته قواه وخانه قلبه فبدأ يدق بعنف عندما رآها وكأنه يعلن عصيانه ورفضه لبعده عنها

فبدي صراعه علي وجهه يفضح أمره، بهدوء قطعت صمتهمتسائله: إلي متي ؟!

كان سؤالها استنكارياً عاماً، لم تحدد شئ معين لكنه فهم كل شئ، بدت اليوم أكثر جمالاً مما اعتادها، أكثر نعومة وأكثر حبا..

هذا ما تفعله نار الفراق تزيد لهيب قلبيهماعند اللقاء بعد أن ظنا أنهما طرقا أبواب النسيان.

ابتلع ألمه ورسم نظرة جادة علي وجهه لم تعتدها منه ولكنها توقعتها :ماذا هناك؟

بهدوء أجابته وهي تشير إلي بعض الأوراق في يديها: بعض الأوراق تحتاج توقيعك.

تناول الأول من يدها كاتما سؤال يعتمل داخله " لماذا لم يبعثوا الأوراق بالفاكس" .

وقع الأوراق بعد أن قرأها ومد يده إليها بتلك الأوراق :انتهت التوقيعات.

تناولت الأوراق غير عابئة بها ثم وضعتها جانبا وعادت تنظر إليه ،مضت فترة صمت شعرت أن كل لحظة بها تجرحها: هل تعتقد حقا أن ما أتي بي إلي هنا هي تلك الأوراق ؟!

أطرق رأســه ليعفي نفســه من مواجه نظراتها، لم تيأس من نظرة الحزن تلك التي كســت وجهه:أحمد، لماذا تعذبني وتعذب نفسك؟ هل تعتقد أنني صدقت حقاً إنك نسيتني أو أنك غير أبه بشئ كان بيننا ؟!

رفع إليها نظره محتدة قاطعة :ومن قال ذلك .. إلي تلك اللحظة لم أشــفي من جرحي بعد وأنت تأبينعلي ذلك لذا جئت اليوم أليس كذلك ؟

بدت عيناها مترقرقه بالدمع وهي تحدثه: أحمد هل تعتقد أنه من الســهل علي أن أتي إليك اليوم ،صــدقني لم آت لأجرحك أو لأنكأ جرحك كما تقول، فقط اشــتقت إليك كما أعلم أنك تشتاق إلي ،ليس من السهل علي كلانا أن ينسي الآخر.. ليس سهلا أن نتحمل نتيجة قرار أخذناه في لحظة غضب.

_نعم أعلم أنه ليس سهلاً لكننا يوماً سننسي.

_لماذا؟!

_لأنك اخترت ذلك.. ضحيتي بكل شئ وضحيت بي من أجل هدف أحمق لا جدوى من وراءه، وقتها عرفت قدري عندك ومدى حبك لي، بكل بســاطة اخترت.. ماذا كنت تنتظرين أن أفعل، أن أساندك فيما تفعلين أم أظل انتظر أن تقرري أن كنت...

أشــارت له أن يتوقف، لم تســتطع أن تمنع دموعها أن تتحرر طليقة من مقلتيها ربما كي تطفئ بعض من تلك النيران المشتعلة داخلها.

اختنق صوتها بين دموعها وهي تحدثه: أحمد إني أحبك.

هدأت نبراته قليلاً: وأنا أيضاً ولكن لا جدوي من ذلك الآن.

_أحمد التصميمات الجديدة رائعة بل أكثر من رائعة أنا....

اقتحمت مكتبه دون أن تطرق الباب، كانت نبراتها مليئة بالحماس والاندفاع ولكن سرعان ما انطفأ فوق ملامح وجهه الذاهلة وعندما رأت " سلمى " عنده.

تلعثمت كلماتها بين اعتذار وخجل : آسفة لم أكن أعرف أن لديك أحد

حاول أن يتدارك الموقف ســريعاً ليخفف من ذلك التوتر الذي ملأ الجو حوله، إشــار إليها محدثا "ســلمى ":باشــموهندســة " أمل" قســم تصــميمات ثم أشــار إلي "ســلمى" :باشموهندسة "سلمي" من فرع الشركة الرئيسي

_أهلاً وسهلاً فرصة سعيدة يا باشموهندسة " سلمى"

_أهلاً وسهلاً" .

انسحبت سريعاً من المكتب، لم تستطع أن تمكث أكثر من ذلك خاصة بعد دخول أمل ومالاحظته من ألفة بينهما.. رحلت دون أن تصل إلي شئ من زيارتها سوى جرح جديد وشيء تخشى الاعتراف به يلوح أمامها في الأفق.

*****

نظرت إليه متسائلة: ما بها؟

_لا شيء.

فحاصرته بنظرة متسائلة فأجابها في حدة تعمدها كي يواري ارتباكه وحزنه :لم يكن من المفروض أن تدخلي هكذا دون استئذان.

واجهت نظرته في قوة: نعم أعرف، لذا اعتذرت واعتقد أنها تقبلت اعتذاري !!

أجابها وهو شارد بذهنه مع سلمى:نعم أعتقد ذلك.

_ولكني ما زلت أسألك ما بها ؟

أجابها في عصبية ندم عليها بعدها :لا شئ أخبرتك..

أجابته في لامبالاة ظاهرية لا تعكس إصرار داخلها في معرفة كل شئ: حسناً، ليس هناك داع للعصبية.

_حسنا أريني تلك التصميمات.

****

لم يكن من السهل علي "أمل" أن تتقبل تلك الحقيقة، شعرت أن رأسها تشتعل :إذن فهي حبيبته ،ضمت قبضتها وطرقت بها سطح المكتب أمامها.

_أمل اهدئي.. لقد أخبرتك أن الأمور بينهما سيئة وأنه رحل من هنا بسببها، وأنت الآن تقولين انها رحلت باكية من عنده فما سبب خوفك وعصبيتك الآن؟.

_مني أنت لا تفهمين.

وبدأت رنات صوتها تخبو في حزن، رمقتها صديقتها في حنان وتفهم ، وربتت علي كتفها :بل أفهمك يا أمل.. أنت تحبين أحمد وتغارين عليه لذا تعطين الأمور أكثر من حقها.

_أكثر من حقها !! .. بعد ما قلته الآن .. بعدما عرفت ما كان بينهما ،بعدما جاءت إليه لتعيده إليها من جديد، أنها تحبه يا مني واخشي من حبها ذلك ،أخشي أن يعود إليها وأفقد الحب الوحيد في حياتي.

_ومن أخبرك أنه سيعود إليها ؟!، منذ شهر لم يأت إلي الشركة ولا مرة واحدة ولم يحدثها، إذن فقد نسيها وانتهي امرها بالنسبة له.

_لا أعرفالخوف يقتلني .. أنت تعرفين منذ جاء أحمد إلي شركتي وحياتي تبدلت ،لأول مرة يدق قلبي لشخص وأشعر أن عالمي له وحده وأن جل ما أتمناه هو أن أكون إلي جواره، أنا لست أنانية يا "مني" أنا فقط امرأة تحب ومستعدة أن أهب قلبي وحياتي لمن أحبه ولا أريد أن أفقده.

"_أمل" أنت تحبينه نعم، ولكنك لم تفعلي شيئا من أجل ذلك الحب، إنك تقفي مكتوفة الأيدي وترضين بالقلة القليلة التي يجود بها عليك، إنك حتى لم تحاولي إثارة رجولته لوجودك بجواره كأنثى أو أن تسلبي عقله فلا تعطي فرصة لأخري لأن تنتزعه منك.. هي لن تكف، أنا أعرفها جيداً، تحبه ولن تستسلم بسهولة عن ذلك الحب وستطرق كل باب حتى يعود إليها، لذا يجب أن تمتلكيه قبلها ولا تتركي له الفرصة أو الوقت كي يفكر في العودة إليها ،هل تفهميني؟

بدت الخطوط في جبهتها أكثر تقاربا وبدي العبوس ساكنا في مقلتيها ويحرك لسانها بكلمات أشبه بالهذيان: لن أستطيع يا مني ،إن كان يحبها لن أستطيع أن أفعل شئ ،

حبه فقط من سيعيده إليها ولن أفلح في إبعاده عنها.. أحمد أنبل مما تتصورين يا "مني" وهذا ما جعل قلبي لم يخفق لسواه وكأنني سنوات كنت أنتظره وأبحث عنه، عندما رأيته شـــعرت أنني وجدت تلك الضـــالة التي كنت أبحث عنها طويلا ولكني أشـــعر وكأني سأفقدها دون أمل في وجودها من جديد.

_لا تعيشـي دور الراهبة كوني واقعية، إنه بالفعل بدأ يشـعر بك ويعتاد علي وجودك إلي جواره، أجعليه يشـــعر أنه لا غني له عنك، أشـــعريه بحبك له في كل وقت، صـــدقيني يمكنك أن تملكيه إذا أردت خاصة في ذلك الوقت، كما يقال" اطرق علي الحديد وهو سـاخن" فهو علي اسـتعداد ليسـتمع لأول قلب يهبه مشـاعر وحب ويشـغله عما حوله لينسى كل شئ، أجعليه ينساها ليبدأ معك من جديد.

_لسـت أنا من تتزوج شـخصـاً لتنسـيه حبه لأخرى حتى وإن كان هذا الشـخص أحمد، حتى لو كنت أحبه ولن أحب ســـواه .. لابد أن يختارني هو، هو من يأخذ قراره كي لا يندم عليه، إن كان سـيعود إليها فسـيكون قراره وسـأحاول أن أداوي جرحي بعيد عنه إما أن اختارني فسيكون لي،وقتها أحارب أي شخص من أجله لكنفقط .. يحبني.

قلبت شـــفتيها في امتعاض :ربما !! هذه وجهة نظرك لكن خذي حذرك ،إني أخاف عليك من جراح الحب، أنت لست قوية كفاية لتتحملي جرح كهذا.

ابتسـمت ابتسـامة حاولت أن تضـع فيها قوة لا تشـعر بها من داخلها: لا تخافي علي، المهم الآن هو أن ابتعد عنه في تلك الفترة كي يأخذ قراره وإن كان هذا صعب علي.

حاولت أن تجادلها أكثر ولكنها أقفلت باب النقاش، فاضـطرت في يأس أن ترحل تاركة صديقتها في صراعها النفسي.

الفصل الرابع عشر

مضت أيام منذ لقائها به، كانت تحاول أن تنسى أو تتناسي لقائهما، ربما لم تندم علي زيارتها تلك ولكنها زادت من حسرتها وخوفها، شعرت وكأن قلبها يضطرب بطريقة لم تعتدها من قبل وكأن أحمال الدنيا تتزايد فوقه، ولدهشتها فكرت أن تقابل يوسف برغبة حقيقية من داخلها في لقاءه ليس سيراً علي منوالها السابق.

عندما أنهت المكالمة معه ضحكت حتى كادت تفقد وعيها، إنها المرة الأولي التي تطلب منه أن تلقاه لأنها حقاً تحتاجهفي إخبارها أنه مسافر إلي الإسكندرية في مؤتمر وإنه حاول الاتصال بها مرارا ليخبرها ولكن هاتفها مغلق، تذكرت إنها اغلقته كما اغلقت عليها باب غرفتها وحجبت نفسها عن كل شيء في الأيام الماضية.

فكرت في أن شيء يلهي عقلها عن التفكير كي لا تزيد نيران قلبها اشتعالاً وهنا تذكرت شيئا عجبت من نفسها أنها نسيته في الشهور الماضية.

أوقفت سيارتها في الأماكن الخاصة بالانتظار وعبرت الطريق في رفق وشرود، اضطربت خطواتها، وهي تقترب نحو ذلك الباب الصغير ووقعت عيناها علي اللافتة الصغيرة فظل كل شئ يعتمل في قلبها وكأنه الأمس عندما أتت معه أول مرة إلي ذلك المكان، يومها

عرفت مدى رقته وحبه لتلك الكائنات الصـــغيرة فأحبتهم مثله وشـــعرت به بينهم علي طبيعته بســـيطاً رقيقاً ورائعاً كأحســـن أب تتمناه لأولادها. "محمود" هكذا نادته عندما وقعت عيناها عليه وهو يجري في ذلك الفناء بعيداً، لم يسمع ندائها فكررته ثانية، كانت تحبه من أجل أحمد، كانت تشـــعر بأنه جزء من قلبيهما، لم يكن يختفي عنها إلا ويأتي إلي هنا ويداعب محمود ويلهو معه فينســـي كل ما يؤرقه ويتعبه، كانت تعجب أن تجد كل تلك القدرة في رجل واحد، إنه قادر دائماً علي العطاء.. دائما يشعرها بحبه والأمان بجواره وكذلك لذلك الطفل اليتيم الصـغير.. كان يسـتمتع كثيراً حين يسـمعه يناديه بأبي وكانت تبتسم وتزداد إعجابا وانبهاراً لذلك القلب الرائع.

أقبل نحوها جرياً فكاد أن يسـقط علي وجهه فسـاندته بيديها وأخذته في حضـنها، قبلته وكأنها تقبل العالم وتحتضنه ،نظرت في عينيه البريئة وكأنها تناجيه وتعتذر له عن تقصيرها ولكنه لم يمهلها كثيراً فسألها: فين بابا أحمد ؟

شعرت بالربكة وابتسامة مريرة علي شفتيها، ليته لم يسأل عنه: مشغول قليلا

_لكنه وعدني أن يزورني هل تضايق مني في شيء؟.

_لا أبداً، لكنه كما أخبرتك مشغول قليلا ولكن أخبرني ألم أوحشك؟

_بليأوحشتينيجدا.

واحتضنها فأحست بأن بقلبها دفء فقدته منذ فترة طويلة ودمعت عيناها .

فرح جداً بتلك الهدايا التي حملته له وبدي كما لو كان قد نسي شيئا فأخبرها به:

هل تعرفين " طنط" أمل؟

_أمل ؟!

_نعم، لقد حضرت مع بابا أحمد الأسبوع الفائت وأحضرت لي هدايا كثيره معها، لقد أحببتها جدا.

اتسعت حدقتيها وهي تسمع تلك الكلمات منه غير مصدقة، إذن فقد انتهت من حياة أحمد إلي الحد الذي تكون أمل هي بديلتها في كل شئ حتى محمود، شعرت بأن شيئا قويا بداخلها يرفض هذا الأمر وإن كان لا يستطيع أن يمحي خوفها مما ينتظرها.

أمسكت محمود بين ذراعيها وقبلته وسألته:ما رأيك أنا أجمل أم أمل؟

سكت قليلاً وكمن يفكر في الأمر: أنت أجمل.

ثم احتضنها وطبع قبلة فوق وجنتها فعلت ابتسامة رقيقة فوق شفتيها وظلت تلاعبه ومكثت معه تروي له بعض القصص حتى انتهي ذلك النهار برمته.

****

حاول أن يفهم سـر هذا التحول في سـلوكها معه لكن دون جدوي، لم يدرك حقاً سـبباً لبعدها عنه، حتى ابتسـامتها بدت كما لو ذابت علي شـفتيها وشـعله النشـاط تلك قد انطفأت ،كان يري كل ذلك ولم يستطع التفسير.

حاول أن يحدثها مراراً لكنها لم تكن تمهله وقتا أو فرصـــة ليتحدث معها خارج نطاق العمل.

ازداد شروداً بسبب تغيرها وتفكيره الدائم في ذلك التغيير.

في ذلك اليوم أصـــر أن يعرف كل شـــئ ما الذي يمكن أن يكون قد فعله لتتغير هكذا وبدأ احسـاس بتأنيب الضـمير ينتابه، هل أسـاء إليها دون أن يشـعر، ولكنه لا يذكر إنه ضايقها لذا قرر أن ينهي صراعه بالحديث معها.

****

دخلت إلي مكتبه حاملةه معها بعض التصـــميمات وناولتها له، نظر فيها شـــارد الذهن قليلا ثم وضـعها جانبا فتابعته بنظرها ثم رفعت إليه عينا متسـائلة: ألم تعجبك ؟! أسـند ذقنه علي يده ناظراً إليها في تأمل ثم طلب منها أن تجلس، جلســـت مطرقة الرأس ولم

تتحدث، كاد قلبها أن يتوقف وهي تنتظر أن يقطع ذلك الصمت وتتمني أن يتحدث في أي شئ ولكن لا يشير إلي سبب تغيرها هكذا ولكنه خذلها وسألها دون مواربه : " أمل" ما بك ؟

أجابته وهي تتظاهر بعدم الفهم ودون أن ترفع عينيها إليه: ما بي !! لا شيء.

_أمل إن كنت تظنيني غبي فأنا لست كذلك بالتأكيد، تصرفاتك غريبة حقاً، وطريقة تعاملك....

قاطعته في جدية: لست غريبة واعتقد أن طريقة تعاملي لا تضايقك في شئ

بدت لهجته أكثر هدوئاً ولينا:أمل هل أغضبتك في شئ؟، هل أسأت إليك دون قصد مني، أرجوك أخبريني.

همت بالانصرافدون أن تجبه فازدادت دهشته وأعترض طريق الخروج قائلا : ياه إلي هذا الحد ؟!

_أحمد أرجوك لا تحمل الأمور أكثر مما تحتمل، لم يحدث شئ لذا أرجوك دعني أذهب.

_ليس قبل أن أفهم ،إن لم يحدث شـــئ حقافما الذي غيرك، عدة أيام وأنت علي تلك الحالة، تتجنبي أي حديث معي ولا تنظرين إلي حين تلقيني وعلمت إنك طلبت بإجازة ولولا ظروف العمل في تلك الفترة كنت ابتعدت أيضاً.

ظلت صـــامتة مطرقة لا تقوي علي شـــئ،تنهد بعمق قبل أن يحدثها: أمل.. ارفعي إلي عينك وانظري لي، ماذا حدث؟ هل جرحتك إلي هذا الحد ؟

رفعت عينيها إليه لتواجه نظراته بكل ذلك الدفء في عينيه،غلبتها عبراتها واختنق صوتها فانسحبت بسرعة من أمامه ولم يحاول أن يوقفها.

لم يكن مخطئاً في تقدير مشـاعرها نحوه ولكنه كانيخشـى الاعتراف بها، نعم هي تحبه مما لا يدع مجالاً للشك ولكنه لم يكن يملك قلبه، لم يكن ذنبه أن قلبه تعلق بسواها، " أمل شـــخصـــية رائعة" هكذا كان يحدث نفســـه ويعقب كلامه بكلمة "لكن" وتقف الكلمات في حلقه رافضه المضي.

اقتربت لأنها تحبه وابتعدت وهي أيضـا تحبه، ود لو يسـتطيع أن يعيدها لسـابق عهدها لكن دون قيود أو وعود لا يقويعلى تنفيذها فلم يكن قد برأ بعد مما سـببته له " سـلمى" ،جاء اسمها في خاطره لتتجسد في ذهنه في تلك اللحظة فارتخت ملامحه وشعر بنبض

ذلك الكائن الصغير يتزايد داخله وصوتها يملأ خلجات نفسه، وتذكرها عنده أخر مرة فشعر بحزن يسكن داخله وتذكر حديثهما وتلك الدموع في عينها فامتدت يديه محاولا مسح دموعها ،تمني لو هدأ من روعها ، لو سمعها ربما حقا انهت كل شئ،ربما عدلت عما نوت.

أمسك هاتفه ونطق اسمها في همس فأتي اسمها سريعا علي تلك الشاشة الصغيرة أمامه ولكن خانته أصابعه فلم يضغط زر الاتصال وعاد شيطانه إليه يأمره بالابتعاد كما اختار وكما ارتضت هي.

وكمن تنبهفجأة إنه ليس بصدد مشكلتها الآن، كل ما قاده لذلك هو التفكير في أمل، كيف يمكنه أن يعالج الأمور دون جرحها، ظل السؤال يؤرقه يبحث له عن حل خاصة وهو يحتاج إليها الآن إلي جواره دون أن يعرف سبباً حقيقياً وراء ذلك ولم يحاول أن يفكر أكثر الآن وقرر الانتهاء من عمله ليختلي بنفسه ليرشده فكره إلي خير شئ يعمله.

الفصل الخامس عشر

كانت قد نالت كفايتها من مني، لامتها كثيراً علي تصـــرفاتها :عندما بدأ يقترب تبعدين أنت؟!

لم تكن بوســعها أن تفعل شــيئا كانت قررت أن تبتعدك تعطيه فرصــه كافية ليفكر في الأمر ولكنه يأبي ذلك ومازال يحاوطها بأسئلته حتى فقدت قناعها المشدود فبدت بهذا الضعف أمامه ولعله فهم كل شئ.

لم تدر ماذا عليها أن تفعل في الأيام القادمة وكيف يمكن أن يســـير العمل بينهما، حاولت مني أن تقنعها بالاقتراب: هو من يطلب ذلك الآن فلماذا تبتعدين ؟

_أفضـل أن ابتعد من الآن علي أن أجرح علي يد أحمد، أنا أحبه حقا ولكني لن أتحمل أن يجرح كرامتي.

هنا لم تجد مني سوي الصمت رداً علي كلامها، ليس من السهل الاختيار عندما توضع الكرامة في كفة الميزان.

رحلت لتتركها لنفس حيرتها ولكنها بداخلها تكتفي بتلك النظرات التي كان يرمقها بها وتلك الكلمات التي نطقتها شــفاه فشــعرت بها تحتضــنها وكأنه يعتذر لها عن شــئ لم

يفعله وكأنه يعتذر عن حبها له ،وعندما فكرت في هذا التفكير خافت وانتابتها هواجس ومخاوف لم تســـتطع تجاهلها وتمنت أن تنتهي معاناتها قريبا حتى ولو كان ذلك علي حساب قلبها فهي لم تكن سعيدة بذلك الصراع النفسي والعصبي وأرادت أن توضع نهاية حاسمة لذلك.

****

كانت قد أمضـــت عدة أيام وحيدة منذ قررت والدتها الســـفر إلي خالتها في الصـــعيد ورفضـــت هي الســـفر معها متخذة من عملها حجتها وكادت تجن من ذلك الفراغ الذي تعيش فيه ولكنها أخذت تواسي نفسها وتعد الأيام الباقية علي عودة والدتها.

جاءها اتصـــاله في ذلك اليوم، كانت مترددة في الرد ولكن لم يكن أمامها ســـوى ذلك واتفقت أن تلقاه ، عرض عليها أن يمر عليها ليذهبا معاً فرفضـــت بحدة تداركتها بعدها: ربما تعترض أمي علي ذلك.

تفهم رفضـــها أو هكذا بدى فاتفق أن يلقاها في إحدى المطاعم التي اختارتها هي، لم يكن يدري أن السبب الحقيقي في رفضها هوعنوانها الذي أصرت إلي تلك اللحظة أن يظل سراً لا تفصح عنه.

تلك اللهفة في عينيه كانت صادقة وذلك الشوق الذي شعر به نحوها في الأيام الماضية لم يكن تمثيلاً وكان هذا يؤلمها أحيانا ولكنها كانت تتجاهله، كانت ملامحها شـــاحبة بعض الشـئ من فرط تفكيرها واعياءها .. كان ضـغطاً علي أعصـابها ذلك اللقاء خاصـه بعد لقاء أحمدلكنها حمدت الظروف التي عجلت بقدومه لتحدد معه موعد لزيارة والدتها أوبمعني أدق قدومه ليعرف الحقيقة عارية أمامه وتنهي سلسلة انتقامها.

_اشـتقت إليك بشـدة، لم أتخيل إنني يمكن أن أمضـي كل تلك المدة دون أن أراك.

ابتسمت في هدوء :وأنا أيضا.

لم تستطع أن تواجه صدق نظراته بعينها الكاذبتين وكأنما شعر بحيرتها غصب عنها فرفع وجهها إليه: ما بك ؟ لما هذا الشحوب والحزن؟!.

كان قادراً حقاً علي رؤيتها بعين المحب الذي لا تفوته فائتة فيري الألم علي وجهها ،احتارت بما تخبره ولم تكن لتنكر شيئا تعرف أنه لن يختبأ طويلاً ولكن اسعفها تفكيرها بما قد تخبره وتدير الحديث إلي وجه أخرى :لا شئ ، فقط اشتاق إلي والدتي.

_أليست معك في المنزل؟.

_بلي لكنها سافرت لتمضي بضعه أيام عند خالتي.

_متي تعود؟

_ بعد يومان علي ما اعتقد.

_تعود بالسلامة.

"سلمى – يوسف" نطقا اسميهما في نفس اللحظة فضحك وابتسمت هي ،تركته ليبدأ هو حديثه بعد إلحاح منه في أن تبدأ هي ولكنها رفضت لتتركه يتحدث: "سلمي" أريد أن أقابل والدتك قريبا عند عودتها.

فقدت تركيزها لوهلة وهي تسمع كلماته ولكن سرعان ما تمالكت نفسها وأطرقت ليس لتخفي هالة من الخجل كما اعتقد ولكن لتخفي ذلك الحزن الدفين داخلها، في ذلك الوقت الذي انتظرته بل وسعت إليه منذ أن ذهبت إليه في عيادته كانت تنتظر ذلك اليوم بنفاذ صبر ، كانت تظن أن ذلك اليوم هو يوم انتصارها ولكنها الآن تفقد ثقتها بكلشئ.

مضت لحظات صمتها طويلة عليه قبل أن يسألها: " سلمي " ما بك ؟!

رفعت إليه وجها لم تستطيع أن تمحي حيرته ورسمت ابتسامة هادئة علي شفتيها: لا شئ، انني فقط لا أعرف ماذا أقول في مثل ذلك الموقف.

تناول أصـابعها بين يديه ولأول مرة تسـتسـلم له دون أن تشـعر بتلك البرودة تسـري بأوصـالها وتكتنفها .. تذكرت تلك الكلمات التي نطقها أحمد يوما، إنها لا تنس نبرة صـوته العميق ودفئه حين أخبرها أن تحدد موعد ليقابل والدتها، كانت فرحتها أكبر من أن توصف بالرغم من رفضها أن تخطب له وقتها ورحيله عنها غاضباً إلا أنها كادت تطير من فرط سـعادتها ،تخيلته إلي جوارها يعيد كلماته عليها فتبكي بين ذراعيه لتغتسـل من خطاياها وتتوب في محراب عينيه ويتعبد قلبها العاصي بين ضلوعه إلي الأبد.

ربما صـوته أو تلك التنهيدة التي اطلقتها في غفلة منها هي ما اعادتها إلي واقعها لتري"يوسف" أمامها ولسانه لم يكف عن كلمات لا تمر علي مدار سمعها وإن كان لين ملامحها يخيل له أنها تسمعه وتهيم بنشوان قلبه.

طلبت منه الرحيل وكعادتها أصـرت أن تعود بمفردها وتعود هو ألا يناقش ولكن تلك المرة أصر أن يعرف منزلها كي يأتي إليهم بعد عودة والدتها، وأمام إصراره اضطرت أن ترضخ لكلامه وجعلته يوصلها إلي منزلها حقا تلك المرة.

كان خطأ منها لم تدركه وقتها، ليسـت تلك المرة الأولى التي ترشـده إلي عنوان منزلها ولكنها غرفت في تفكيرها فنسيت وأرشدته إلي عنوانها الصحيح.

سـارت همهمة غريبة في الشـركة في اليوم التالي أثارت انتباهها ولكنها لم تحاول أن تسـأل بينما ظل الموظفون يتنقلون ما بين المكاتب يتناقلون خبرا يبدو علي وجوههم أهميته وانزعاجهم به مما آثار ذلك دهشـتها وخوفها دون أن تعرف سـببا، وقبل أن تحاول أن تسـأل أتي إليها أحد السـعاة يخبرها أن مديرها يريدها، فذهبت إليه ومازال تشغلها تلك الحركة المريبة وتلك الهمهمة.

طرقت الباب حتى أذن لها بالدخول وطلب منها الجلوس، جلسـت وفي عينيها ترقب وتحفز لما سـيقال، نظر إليها وهو يحاول رسـم هدوء وصـبر علي وجهه: سـلمى هل عرفت أن أحمد أصيب في حادث؟.

انتفضت من جلستها كمن لدغتها عقرب ونظرة فزع صارخة في عينيها ولسانها: ماذا؟

حاول تهدئتها وأن يجعلها تجلس بعد أن انتفضـت كالقوس المشـدود ولم تسـتطع أن تلتقط أذنيها بقية كلماته ،ظلت عيناها بنفس نظرتهما المفزعة وشـفاها الباهتة كأن الروح قد سحبت منهما، ناولها كأس الماء في يدها ولكنه سقط من بين أناملها دون أن تشعر به أو ببرودته علي يديها.

قفزت من مقعدها لا تنوي إلا علي شيء واحد واتجهت من فورها إلي بورسعيد.

الفصل السادس عشر

توجهت إلي الشـركة لتعرف عنوان تلك المشـفى الذي لم تلتقط اسـمها ما بين حديث مديرها الذي لم تسمعه وهنا قابلتها "منى" التي تعرفت عليها من حديث أمل عنها.

اقتربت منها متأملة متسائلة: ماذا تريدين ؟

كانت نظراتها قلقة حائرة وفزع يقطنها : أين أحمد ؟

ودت لو أن تكذب عليها ،أن تنكر معرفتها بمكانه أو حتى تخبرها بعنوان خطأ، لكن وجهها الشـاحب وحالتها تلك والدموع التي تكسـو عينيها منعتها من ذلك وفي صـوت آسف أخبرتها بعنوان المشفي وفي صوت واهن شكرتها.

رحلت وتركت مني في شفقتها عليها وعلي " أمل " فكلاهما إلي جواره الآن وكلاهما قد يتعذب بوجود الآخر وكذلك أحمدسيظل قلبه مشطور بينهما.

دقائق وكانت بغرفته في تلك المشـــفى، دخلت الغرفة ويكاد قلبها ينخلع من مكانه عندما رأته بين تلك المحاليل المعلقة "والجبس" يغطي إحدى ذراعيه، كادت تســـقط مغشيا عليها ولكنها تمالكت نفسها حتى وصلت إلي سريره وجلست إلي جواره تمسح

دموعها لتستطيع أن تري وجهه ربما كي يبعث إلي قلبها الحائر بعض الأمان ،ولكن تلك الضمادات حول رأسه زادت نحيبها واضطراب قلبها وخوفها عليه.

أمسكت كفه بين يديها المثلجة وأخذت تبكي ولكنها سرعان ما شعرت بالكف تتحرك بين يديها وظنت أن ذلك وهماً لكنها رأت عينيه تفتح في بطء ووهن لتسقط علي وجهها الباكي.

اخذت تجفف دمعها وتتحسس وجهه لتتأكد من وجوده أمامها وهي تنادي اسمه بين شفتيها في أمل وضعف.

انفرجت شفاهه عن ابتسامة صغيرة في صعوبة محاولاً طمأنتها "سلمي" حاولت التماسك لتمنع نفسها من البكاء وهي تردد اسمه: "أحمد"انت بخير طمئني.

_نعم يا "سلمي" أنا بخير، لا تقلقي أرجوك.

_لا يا أحمد تلك الضمادات والكسور، أنا..

واختنق صوتها بدمعها ولم تستطيع أن تكمل وعادت لبكائها فامتدت أصابعه في ضعف بالغ لتمر علي وجهها لتمسح ذلك الدمع الذي غمر وجهها: أنا بخير صدقيني أنه حادث بسيط.

أمسكت أنامله وقربتها نحو شفتيها تقبلها وأسندتها علي وجنتها في رفق فشعر بقلبه في كفه وبرغبة عارمه في ضمها إليه في عناق أبدي ليطفأ شوق الأيام الماضية ولكن شيئا من ذلك لم يحدث.

لم يعرف كم من الوقت مضي وهو يحكي لها عن ذلك الحادث الغريب وكيف نجي منه بأعجوبة وهو في طريقه إلي عمله وسألها كيف عرفت فأخبرته أن الجميع عرفوا ولكن فقط مديرها من أخبرها.

لم تكن المرة الأولي أن تدخل هكذا دون أن تستأذن ولكنها لم تعتذر تلك المرة، بل أيضا لم تلق السلام ولم تبال بمن في الحجرة واتجهت صوب أحمد مناديه في رقة عليه، رفع نظره إليه في حيره ثم عاود نظره إلي سلمى ليجدها وكأن نظراتها اشتعلت ناراً فلم يدر ماذا عساه أن يفعل.

أشار إليهما: أظن انكما تعارفتما إلي بعضكما من قبل !!

أجابته أمل في ثقة من تتحدي غريمتها: نعم بالتأكيد، أنسة "سلمى" أليس كذلك؟

اكتفت بإماءة صغيرة ولم تجب وأدارت نظرها نحو أحمد فرأته يتململ في حركته فأسرعت نحوه لتعدل له وضع الوسادة ولكنه عالجها بقوله :لا داعي لذلك شكراً. لكن

أمل لم تمهله فرصة ليساعد نفسه في ذلك الأمر أو أن تقوم هي بمساعدته فامتدت يداها في سرعة وعدلت من وضع الوسادة وساعدته في الجلوس فاقتربت انفاسه من وجهها وتلاقت أعينهما لقاء قصير ولكنه بدي طويلاً كفاية ليري ذلك الخوف والقلق في عينيها بل والغيرة أيضا فتأكدإنها عرفت كل شيء عن "سلمى" وعرف سبب ابتعادها الأيام الماضية.

كان يعرف أن الجو مشحونا بموجات لا يقوي علي تحملها ولكنه لم يملك شيئا لفعله غير أن يدعو أن تمضي تلك اللحظات وتمر في سلام.

لم يمضي كثيراً حتى جاءت "منى" في الظاهر كي تطمئن علي أحمد وإن كان هدفها هو أن ترى ثمرة اللقاء الذي تمنت لو أن قسوتها قد مكنتها لتمنعه من الأساس .

عندما رأت الوضع هكذا اطمئن بالها قليلا وبعد أن اطمأننت علي أحمد نظرت إلي"سلمي" موجه حديثها: اعتقد أن الباشموهندسة سلمي تعبت جداً اليوم وأن الوقت تأخر وعليك العودة لأن أهلك ربما يقلقون عليك.

حاولت أن تعلق، حاولت أن تفتح فمها لتحتج علي ذلك لكن نظرة واحدة علي وجه أحمد وهو يتوسلها أن ترحل خمدت محاولاتها فاستسلمت: نعم، لقد تأخر الوقت، ثم

استدارت لترحل وهي تكاد تتمزق تاركه إياه خلفها هنا في تلك المشفي ومع "أمل" ثم عادت إليه واقتربت منه قائله في صوت هامس: أحمد عدني أن تتحسن قريبا وتعود إلي ،إني انتظرك وسأظل انتظرك عمري كله، ثم انحنت نحوه ووضعت قبله حانيه علي جبهته.

لم تلتقظ أذني أمل كلمة واحدة مما قالته ولكنها ودت لو تخنقها، بالرغم من صراعها القديم وقرارها الذي اتخذته ولكنها لم تستطيع ان تتخيل انها يمكن أن تحرمها منه بتلك البساطة أمام عينها وهي تشاهدها في صمت.

رحلت وخلفت وراءها جواً أكثر توترافلم تشأ مني أن تمكث أكثر وقررت أن تتركهما بمفردهما، وقبل أن ترحل مودعة صديقتها لم تنس أن تذكرها بما قالته لها من قبل وأكدت ذلك بنظراتها الناصحة ولكن أمل لم تثور تلك المرة بل اكتفت بتلك الابتسامة الهادئة التي بدي وانها اغتصبتها من مرارة وخوف داخلها.

****

عندما جلست إلي جواره لم تتحدث عن شئ بينما كانت عينيها تجيب سؤاله الوحيد، شعر بالارتباك لوجودها إلي جواره وتعجب من نفسه فمنذ دقائق عندما كانت "سلمي" إلي جواره لم يشعر بذلك الحرج.

كان يشعر بصراعها ويقدره ولكنه لم يستطيع أن يمنع نفسه من التحليق مع حلم أصبح الآن بعيداً.. بعيداً جداً.

وكأنما شعرت بأنه ليس معها، همهمت ببضع كلمات مبررة لرحيلها ،لم يسمعها ولكنه شعر بتململها واستعدادها للرحيل فأمسك يديها وهي تقف تواجهه بنظراتها: إلي أين ؟ أجابته دون أن تحاول إفلات يدها وكأنما أشفقت علي نفسها أن تمنعها من عناق يديه ليديها ودفء أوصاله الذي سرى إليها: اعتقد أني لابد أن أرحل.

أصبحت نظراته أكثر ضعفا وهو يحدثها: هل ستتركيننيبمفردي ؟!

حاولت أن تبعد نظراتها عنه وهي تتظاهر ببساطة وبراءة أجابتها :وهل تحتاج إلي؟!

ابتلع ريقه بصعوبة وحاول أن يستجمع خيوط شجاعته، كان يعرف أنها الآن تريد أن تخوض تلك المعركة التي طالما هربت منها وهرب هو أيضا، لم يتخيل إنه وفي تلك

الحالة وذلك الاضـطراب النفسـي عليه أن يخوض تلك المعركة وينهيها بقراره الذي لن يتحمله سواه.

وكأنما استكثر هذا الضغط النفسي عليه الآن في تلك اللحظات فقرر الهرب وإن كان سيأتي اليوم الذي هرب منه، أصبحت كلماته أقرب إلي التوسل إليها: أمل أرجوك أمكثي معي بعض الوقت.

وتأكد حدسه عندما نطقت سؤالها في قوة وثقة: ولماذا ؟

أطرق برأســـه قليلا ثم رفع إليها وجهه في حيادية:أمل لا يمكننا أن نناقش ذلك الأمر الآن.. اتركيني أفكر في الأمر.

كانت نظراتها الزائغة الحائرة تنطق بالكثير.. ودت لو طاوعتها الكلمات لتخرج فتخفف بعض من ضغطها ،ودت لو تسأله هل يستحق حبها منه كل هذا الهجر، هل تستحق هي أن يماطل في الحكم الذي سيصدره علي قلبها،إلي هذا الحد لا يمكنه أن يشعر بها أو بأناتها.. فقط كل ما تستحقه هو أن يعدها أن يفكر في الأمر!!

أي أمر هذا الذي سيفكر فيه وكأن مشاعرها يمكن أن تكال بمكيال.

سحبت يدها من بين أنامله واتجهت نحو الباب وعندما انطلق صوته واهنا مناديا عليها، التفت لتواجه نظراته المشـــفقة عليها بعينين حاولت حبس الدموع فيهما طويلاً ولكنها أبت الانحباس أكثر فأعلنت عن نفســها.. ســحبت نفســها وأغلقت الباب خلفها فلم تستطيع البقاء أكثر.

أغمض عينيه في ألم عليه وعليها،عليه قريبا أن يحكم صـــراعه ولا مجال للمراوغة مع نفسه أكثر ،لا قلبه ولا أمل يستحقان هذا العناء.

لم يكن يقدر أن يعيش حياته علي أمل واهي بينما هناك قلب يدق من أجله، يتنفس من روحه.. قلب لا يســتحق منه الظلم ولن يتحمل فكره أن يقســو أو يظلم قلب أحبه في يوم ما.

هنا تذكر "سلمي" الذي لم ولن ينساها وعادت ملامحها تأثره وتعيد شجونه وتحرك شيئا داخله دائما يتظاهر بأنه مات، ولكنه قرر أن يبعدها عن فكره خاصــة في تلك الفترة كي لا يخسر نفسه وكل شئ.

الفصل السابع عشر

لم تستطع الانتظار أكثر فقد عادت والدتها وإلحاح يوسف يتكرر كل يوم لذا قررت أن تسدل ستائر مسرحيتها أخيراً.

أخبرت والدتها أن أحد زملائها سيأتي لزيارتهم في نهاية الأسبوع ربما شعرت والدتها بمغزي تلك الزيارة ولكنها لم تسألها ربما لخوفها من الحقيقة التي قد تسمعها من ابنتها بعد أن انتهت علاقتها بأحمد وندر الحديث عنه في البيت.

حاولت التظاهر بعدم الفهم حاولت إحياء الحديث عن أحمد ثانية ولكن دون جدوي تركتها ورحلت متحججة ببعض الأعمال لديها وتركتها لحيرتها وقلقها .

قررت أن تسافر لتطمئن عليه فهي لم تره منذ كانت عنده في تلك المرة.. كان قلبها يحدثها بخوفه خاصة وإنه لم يجيب علي أي من اتصالاتها في الفترة الأخيرة مما جعلها تتردد في إعادة زيارتها لكنها لم تستطع الانتظار أكثر وكان قلقها أكثر من أن تتحمله.

****

كان سريره فارغاً فكاد قلبها أن ينخلع من مكانه وجف حلقها وهي تحاول أن تحرك لسانها لتجد الكلمات وتنطق بها في ضعف في وهن بالغ :أين أحمد ؟

بالكاد خرجت كلماتها تسأل "الممرضة" أمامها وعينها تفضح خوف وهلع لم تستطيع أن تمنعه ولا أن تمنع دقات قلبها من الصراخ عاليا ولكن بصوت غير مسموع.

وكأنما أشفقت الممرضة عليها من ذلك الهلع الذي اعتراها فأجابتها: لقد رحل منذ عدة أيام.

لم تتمالك نفسها أكثر وألقت بجسدها إلي أقرب مقعد قربها، اتجهت نحوها تسألها إذا كانت بخير لم تستطيع الإجابة ولكنها أومأت برأسها.

عندما عادت إليها بكأس الماء كانت قد رحلت، أسرعت خطاها نحو الشركة وهي تطمئن قلبها التائه بين جنباتها.

كانت تتمني لو أن تلتقي بأي شخص سواها ولكن قدرها ساقها إليها فتلتقي بها وجها لوجه وتتواجه أعينهما.

لم تكن قادرة علي المواجهة الآن بعد كل ذلك الصراع الذي اعتراها، أشاحت بوجهها عنها ولكن الأخرى لم تشأ الانسحاب:باشموهندسة "سلمى" كيف حالك.

_الحمد لله " أجابتها باقتضاب في محاولة منها لإنهاء الحديث معها"

_خير هل هناك جديد في الشركة؟.

شعرت وكأنها تريد أن تخرسها لتنهي معها الحوار: ربما ،أين أحمد ؟

_أنت تقصدين الباشموهندسأحمد أليس كذلك ؟ !

_نعم ،قالتها بنفاذ صبر بادي علي ملامحها.

_أنه في إجازة وسافر وربما لن يعود قبل نهاية الأسبوع ،لو أردت يمكنني مساعدتك بالتأكيد.

_شكراً.

انصرفت وهي تشعر بالنار تأكل روحها، لماذا لم تسأل أحد غيرها.. نعم إنها لا تهتم بأمر أحمد ولكن الأمر يهم صديقتها بالتأكيد، هذا ما شعرت به في المشفى في تلك الزيارة التي أكدت كل مخاوفها وقشعت الطمأنينة الوهمية بقلبها.

لكنها لم تحنق علي خفقان زيارتها بل حمدت الأقدار التي صرفت الأمور هكذا.

من الأفضل أن تقابل أحمدبقلب خالي من أحقاده لذا قررت أن تنهي كل شئ قبل نهاية ذلك الأسبوع لتستطيع أن تستكمل حياتها وتصلح ما أتلفه البعد فتعود إليها حياتها وترد روحها إليها ويعود أحمد لها من جديد.

عندما اتصل بها يوسف في ذلك اليوم أخبرته أنه يمكن أن يزورهم اليوم لو هو أراد، لم يتردد بالتأكيدفالطالما انتظر هذا اليوم، هكذا حدثها وشعرت بذلك في كلماته ورنين صوته الفرح ولكن ذلك لم يؤثر بها كثيراً .

علت ابتسامة عابثة علي وجهها عندما أخبرها بشوقه ورغبته أن تمضي تلك الساعات التي تفضله عن زيارتهم ليري والدتها ويطلب يدها منها.

لم تشأ أن يستمر حديثه طويلاً، ربما لأنها كانت مشغولة الفكر بشئ آخر.. انتبهت إلي عدم معرفته العنوان الصحيح لمنزلها لذا أخبرته العنوان ولكنه فاجئها أنه كان يعرفه وعندما سألته أخبرها أنه وصلها من قبل في ذلك اليوم.

لم تعلق علي شئ ولكنه هو من سألها :"سلمى" لماذا لم تخبريني بعنوانك الحقيقي من البداية؟

ارتبكت لحظه، كيف لم تنتبه لذلك من قبل فطبيعي أن يسألها هذا السؤال الذي لا تملك له اجابه الأن:ربما سأخبرك ولكن ليس الآن.

_لا يهم المهم هو أنني سآتي اليوم في العاشرة هل ذلك يناسبكم؟.

_نعم، سأنتظرك.

بدت دقات قبلها وكأنها ناقوس يعلن عن حرب ســـتقوم.. شـــعرت بألم من صـــدرها فوضعت يدها وكأنها تطمئن أن قلبها لم يتوقف بعد وأنها مازالت تتنفس.

شعرت بإجهاد ذهني كبير وشعرت وكأن قدماها لا تحملانها فاستندت إلي أقرب مقعد إلي جوارها، ماذا لو اتصـــلت بأحمد الآن ،أحســـت أن ذلك جل ما تتمناه ولكنها لن تدركه، شعرت بحاجتها إليه الآن.

ذلك الخوف الذي ملأها والاضطراب الذي اعتري حياتها.. تمنت لو أن تنهي ذلك كله وترتمي فوق سريرها مغمضة عينيها لتفتحهما فيصبح ما مضي حلم لا يعود.

وكأن ضـــميرها أبي عليها ذلك فعادت لتذكر اختها ثانية فبدت عيناها أكثر اشـــتعالاً بالغضـــب وكأن ســـأمها تاه بين أمواج حقدها فقامت بخطوات ثابتة إلي والدتها لتخبرها بتلك الزيارة الليلة.

****

مع كل دقة من دقات العاشـــرة كاد قلبها ينخلع وكأن تلك الدقات العشـــر هي نهاية عمرها.

راقبت أمها ملامح وجهها في دهشة خفية لم تعرف لها سببا ،مرارا سألتها سبب الزيارة ولكن دون إجابة شافية، تغير سؤالها في الساعتين السابقتين فسألتها سبب ذلك التوتر والقلق علي وجهها لكن دون جدوي كانت تخبرها بأنها تتوهم ذلك وأن كانت تعلم أن ذلك باديا جداً مما لا يدع للشك مجال ولكنها لم تشأ أن تسبق الأحداث فهي مجرد دقائق وتشتعل تلك النيران التي أعدتها من قبل.

****

رن جرس المنزل فكاد قلبها أن ينخلع، قامت إليه مسرعة ولكن قبل أن تمتد يدها لتفتح الباب حاولت أن تهدأ من ملامحها وتلملم نفسها المضطربة. حاولت أن تبتسم فبدت ابتسامتها باهته فوق شفاه شاحبة فقدت بريق لونها.

غاصت أناملها في كفه وغاص معها قلبها وعلت دقاته مما أثار خوفها أن يسمعه فسحبت يديها سريعاً وقادته إلي حجرة الضيوف.

لحظات وجاءت والدتها معها لترحب به وتتعرف عليه.

عندما وقع نظرها عليه اتسعت عيناها دهشة وتقلصت ملامح وجهها لكنه لم يأبه لذلك وارتسمت ابتسامة هادئة علي وجهه ومد يده ليصافحها، مدت يدها لتصافحه دون أن تعرف سبباً لمجيئه فنظرت إلي "سلمي" ربما لتفهم شيئا مما يدور حولها.

في حدة وقوة بدت في نبرات صوتها وهي تشير إليه: "دكتور يوسف" يا "ماما" أكيد مازلت تذكرينه.

ثم نظرت إليه وقد علت نبرات صوتها وارتفع حاجباها: أما هي فوالدتي أنظر إليها جيداً، ألا تتذكر أنك رأيتها من قبل !!

بدت ملامحه هادئة وكأنها لم تقل شئ فقط يتأملها بعينين هادئتين، فجر هدوئه ثورتها وتساؤلها : حقا ألا تذكرها؟!

حاولت والدتها أن تقطع هذا الحديث الغاضب ولكنها لم تدعها تقول شيئا، فقط اشارت إليه : لو سمحت ممكن أن تأتي معي.

وكالمصير سار خلفها فقادته إلي حجرتها ووقفت في وسط الحجرة وأشارت له أن يدخل.

خطي إلي داخل الغرفة ودارت عيناه في المكان حوله في هدوء متأملاً في صـــمت حتى وقعت عيناه علي صـورة أختها المثبتة علي الحائط خلفها وتشـبثت عيناه بالصـورة قليلاً فقطعت تأملاته: هل تذكرها ؟!

أدار وجهه إليها ليواجه عينيها بعينين دامعتين ولكن ذلك لم يحرك شـيئا داخلها سـوى مزيدا من الثورة ومزيداً من الغضـــب: هل تذكر ضـــحيتك يا دكتور .. جاءت إليك وهي تعاني من انكســـــار قلبها بعد حب عمرها، بعد أن توفي عادل وتركها في عالمها وحدهافقد كان كل شيء في حياتها، وقتها لم تستطع تقبل الأمر، لم تصدق أنه يوما قد يتركها هكذا وفي يوم زفافها بالتحديد، ظلت تكذب علي نفســـها أســـابيع طويلة وهي تنتظر مجيئه لتبدأ حفل زفافها.

اتجهت إلي دولاب ملابسـها وأخرجت إحدى الفسـاتين ممسـكة به بين يديها :ذلك هو الفســـتان الذي كانت تنتظره به وأبت أن تنزعه عنها مدة طويلة ،وقتها لم يكن أمامنا بديلاً من أن نلجأ إليك كطوق نجاة ليس أمامنا سـواه، ولكن للأسـف كنت الحبل الذي شـنقها فأسـدل السـتار علي ربيع عمرها وقلبها، أليس كذلك يا دكتور ؟! اجبني إن كنت تستطيع !!

قاطعتها والدتها من بين دموعها التي كست وجهها فلم تعد تري من بينها :كفي يا سلمي ،علا صوتها المختنق الباكي: لا يا ماما لن أسكت.. لقد سكت طويلاً، لكن اليوم لا . عادت إليه بنظرها والدموع تحجب الرؤية أمامها: هل تعرف ماذا فعلت بها؟ هل تشـــعر بتلك النار التي اشـــتعلت بقلبها حين خطبت أخرى، بالتأكيد لا تعرف ولم تهتم، لم يشغلك أمرها يوما أنها فقط إحدى مريضـاك ولسـت مسئولا عما قد يحدث لها، كل ما تجيده هو أن تلعب بقلبها وتجذبها إليك فترى فيك أمل جديد يبعث بحياتها الســـوداء فتتعلق به وتحبه ولكن دون أي إنذار أو أي مقدمات هكذا تخطب أخرى وكأنك تخبرها بأنك سأمت تلك اللعبة ولن تستمر في ذلك الدور بعد الآن وعليها أن تبحث عن غيرك ليكمل معها حلماً لم يقدر له أن يري النور، لم تستطع أن تتحمل غدرك، لم تستطع أن تتحمـل العيش مع جرح جديـد، دخلـت إلي عيـادتـك روح مجروحـة فـداويتهـا ورعيتهـا وبعثت فيها روحك لتحيي ولكن في لحظة واحدة قررت أن تسـتعيد كل شـئ وتسـحب روحك منها وبلا أي مقدمات طعنتها وتركتها لقدرها تصـــارعه وحدها فلم تتحمل العيش مع ذلك الألم فقررت أن تتركه مع روحها وقلبها المذبوح وترحل لتلحق بعادل ربما لتجد عنده بعض العزاء.

سكتت وهي تحاول أن تمسح وجهها بيديها وتتمالك نفسها من جديد: هل عرفت الآن لماذا أتيت إلي عيادتك في ذلك اليوم ولماذا قررت أن أدخل حياتك، وليس ذلك فقط بل وأيضـا أجعلك تحبني وأتغلغل إلي قلبك كفيروس يسـري في دماؤك حتى تركت كل شئ من أجل ذلك الحب الوهمي.

قطع صـمته قائلا في صـدق :لا يا سـلمى حبك ليس وهماً وإن كنت تظنين أنني أتعذب به فهذا أجمل عذاب ألقاه راضيا وأجمل قدر أعيشه.

علت أنفاسها واحتقن وجهها: أنت لا تفهم؟ إنني لم أحبك يوم ولن أحبك، كل ما فعلته لأنتقم منه ألا تشعر بهذا لماذا لا تفهم ؟

سكتت لتلتقط بعض أنفاسها التائهه: أنا من اتصلت بـ مروة في ذلك اليوم لترانا فتضطر أنت للاختيار الذي ضمنت وقته إنه لصالحي، تركتك تختار قدرك علي يدي.

_إن كان قدري أن أحبك فأنا لست نادماً عليه.

_ربما الآن لكنك ستندم حتما لاحقا لأنك ستدرك أنك كنت مخطئا عندما تركت مروة وذلك المستقبل الباهر الذي كان ينتظرك فقط من أجل وهم انقشع الآن فأنا لم أحبك يوماً وقلبي لم يكن لك.

اختنق صوته وعلت ابتسامة مريرة علي وجهه: نعم سأندم ولكن ليس علي مروة ولا على حبي لك فأنت أجمل من أن يحتويك قلب واحد يا سلمى لكني نادم لأنني لسوء حظي لم أستطع أن أجعلك تحبيني، لم أستطع أن أنسيك حقدك نحوي، صدقيني يا سلمى أنا لم أحاول أن أجرحها ولم أمثل عليها يوماً دور الحب كما تقولين أو أن غروري جعلني استمتع بحبها لي فتركتها تتعلق بي كما تتصورين، أنت لم تعرفي حالتها وقتها وخطأي الوحيد هو إني لم استطع فهم حالتها جيداً فاعتقدت أنها تحسنت مع العلاج لكن ما لم أفهمه هو أن تعلقها بي لم يكن مجرد شئ عابر وسيمر كحالات كثيرة.

نظرة عدم التصديق في عينيها جعلته يحاول اقناعها: من المعروف والشائع تعلق المريض بطبيبه النفسي خاصة عندما يكون من جنس آخر ولكن هذا التعلق سرعان ما ينزوي ويتحول إلي أحاسيس أخرى من الامتنان والتقدير ولا يزيد عن ذلك ويعود المريض إلي حالته الطبيعية لكن هذا لم يحدث مع هناء لأنها ببساطة لم تكن قد شفيت من حالتها وتعلقها بي كان أكثر مما حسبته.

شـيئا من ملامحها لم يتغير وكأن تلك الكلمات لم تمر علي مسـمعها، التمعت دموعها في مقلتيها ثانية: لم يعد هذا يهم الآن، لقد رحلت وخلفت وراءها ذلك الفراغ الذي اكتنفني وأنت السبب، لم يعد يهم شئ الآن فذلك لن يفيد فلا دموع تعيد من رحل.

_ألا تصدقيني بعد ذلك كله.

أشـاحت بوجهها عنه ونظرة حانقه بادية علي وجهها تجيبه: ابتعد عن حياتي الآن فلم يعد بيننا شئ يمكن أن يقال، لقد اسدلت ستار مسرحيتي والآن كلمة النهاية.

_لا يا سلمي ليست النهاية، ليس من حقك أن تصدري حكم إعدامي دون أدلة دون أن تسأليني أو تسألي قلبك.

_بل سألتك وسألت قلبي ولا شئ يشفع لك ،حتى ندمك علي ما فات لن يعيدها لي ربما تستطيع أنت استعادة ما اضعته أما أنا فلا .

_وكأن كل ما يعنيني هو شئ أخر غير حبي لك، لماذا لا تصدقيني ؟!

لماذا لا تعطي فرصة لقلبك أن يسمعني، لم يعد شيئا يعنيني سواك، طيله حياتي أعرف أني سأجدك وربما تعرضت لمشاكل في حياتي، لضغوط جعلتني ارتبط بمروة لكني لم أحبها ولم ينبض قلبي لسواك، صدقيني قد أخرج من هنا الآن ولكني أبداً لن أعود إلي

ما كنت فيه، لم أشعر بكياني ووجودي إلا معك وبعيداً عن كل القيود التي كبلتني طويلاً وأخيراً تحررت منها وانت من حررتني كيف أعود إليها ثانية.

_هل تريد أن تقنعني أنك ممنون لي على ما أنت فيه، قالتها في سخرية تجاهلها _

نعم يا سلمى، مالا تعرفينه هو إنني كنت أعرف كل شيء من البداية ومع هذا كله لم أتراجع يوما عن حبك كل ما تمنيته أن تشعري بدقات قلبي وصدق مشاعري، أوقاتا كنت أشعر انك تبادليني نفس مشاعري ولكنك سرعان ما تتخلصي من احساسك ذلك ليغطي عليه حنقك علي وكرهك لي..

وذلك اليوم الذي نسيت وقدتني إلي عنوان منزلك كنت أعرفه من قبل وتلك الصورة لها في حقيبتك لم تفارقك يوم، كنت أعرف هذا كله لكن أملي لم يمت أبداً، حتى ذلك اليوم الذي ألححت علي لكي اتقدم إليكي وذهولك من جدية موقفي وحقيقة مشاعري في الارتباط بك، كل هذا كنت أراه وألمسه لكني لم أفقد الأمل في أنك يوماً ستشعرين بي، يوم اتصلت بي وكنت مسافراً ولم أرك منذ فترة وقتها شعرت بالهفة في صوتك والشوق فرقص قلبي فرحاً ولكني كنت واهم فحقدك طغي علي مشاعرك فلا ترين الحقيقة.

_نعم يا يوسف لم أحبك وكي أخبرك أيضا أنني مرتبطة بشخص أخر ولم ينبض قلبي لغيره وما كان يعذبني في الفترة الأخيرة ليس بعدك ولكن بعده واشتياقي له، ذلك الشوق واللهفة لم يكن لك بل كان له ..

ولن أنساه ولن أفكر في غيره طيلة حياتي أطمئن إلي هذا حتى تلك اللحظات التي ظننت أنني لك وأنني أهفوا إليك فلم تكن أنت بل كان هو أمامي، لحظات تخدعني فأظنك هو فاشعر بأن الدنيا لا تسعني ولكن سرعان ما تنقشع سحابة الوهم لأراك أمامي.

لم يجد أمامه سوي أن يرحل والتقت عيناه بعيني والدتها التي ملأتها الدموع فنظر لها نظرة آسفة حزينة واتجه صوب البواب وقبل أن يخطو خارجه سمع صراخ "سلمى".

الفصل الثامن عشر

"صدمة عصبية افقدتها النطق"،صرخت ولم تصدق ما سمعته وجرت نحو والدتها وهي تستحلفها أن تحدثها، أن تتكلم معها أو أن تجيبها لكن دون جدوى.

خرج يوسف مع الدكتور خارج الغرفة فأكد له ما قاله: صدقني لا أعرف بماذا أجيبك؟ لكن هي بالتأكيد تعرضت لصدمة لم تستطيع تحملها

شرد ذهنه فلم يلتقط بقية كلمات الدكتور،بالتأكيد لم تستطع أن ترى ابنتها تدمر نفسها بهذا الشـــكل أمامها ،فقدت واحدة أمام عينها والأخرى تحترق بنار الحقد والانتقام، تمني لو أنه يستطيع أن يفعل شيئا ليرد لتلك الأم صوتها بل وروحها أيضا لكنه لم يعرف ماذا يفعل؟

شعر وأنه مسئول بشكل ما عن كل ما حدث ولكن ليس بيده، كان يمكن أن يبتعد عن سلمي بعدما عرف حقيقتها ورغبتها في الانتقام ولكنه لم يستطيع فقد أحبها فعلاً ولكنه الآن يعرف أنه أخطأ في حقها وفي حق نفســـه وقلبه بأن وهب حبه لقلب لم يقدره ولمصـــير كان يعرفه وماثل أمام عينيه ولكنه أعمى عينيه عن الحقيقة وعاش في وهم الحب.

****

دخل إلي الغرفة ليجدها تجلس بقرب والدتها وبكائها لا يجف، أخذها من يدها ليخرجها من الغرفة، حاولت أن تقاومهلتمكث إلي جوارها ولكن نظرة واحده إلي وجهه اقنعتها أن تتركها تستريح.

ذلك الخوف والقلق البادي في عينيها لمس قلبه، فود لو أن تمتد يده لتمحي ذلك الحزن عن قلبها ويكتنفها بين ذراعيه فتهدأ وتستقر ولكن شيئا من ذلك لم يحدث، حاول ان يصبرها.. أن يربت يدها لتشعر ببعض الأمان الذي تفتقده.

ربما هدأت قليلا فرفعت إليه عينيها دامعة متعجبة، لم تستطيع أن تبوح له بتلك الأسئلة التي تجوب عقلها وتعجبها من وجوده إلي جانبها بعدما حدث وذلك الحزن الذي تراه في عينيه لأجلها.. أكثر ما أدهشها إحساس الحنان والأمن الذي سري من قلبه إليها دون قصد مها فشعرت بصرخة في أعماقها تسأل عن الحقيقة دون جواب.

شعرت بمرارة في حلقها وهي تتخيل أحمد إلي جوارها في تلك الشدة، شعرت إنها بدونه وحيدة وضعيفة.. لم يكن سهل عليها ذلك الاحساس، تمنت لو كان إلي جوارها فتلقي بمشاكلها وحزنها عل عاتقيه فيحتويها ويستريح رأسها المتعب علي كتفه وتلتف

ذراعاه وكأنها تحميها من العالم ومن كل ما تتعرض له من أزمات. هو وحده قادر علي بعث أمان حقيقي إلي قلبها ،حاولت أن تطلب من يوسف أن يرحل لكنه رفض وظل إلي جوارها فزاد الموقف ارتباكاً في قلبها وعقلها.

****

أسـبوع مضـي دون أي تحسـن في حالتها مما زاد من خوفها عليها، لم تجد بداً من الرضوخ لرغبتها لتعود للمنزل.

كان إلى جوارها طوال الوقت مما زاد الثقل المحمل فوق عاتقيها، شـعرت برغبة حقيقة في شـكره لكن شـيئا منعها فاكتفت بكلمات مقتضـبة اخبرته إنها سـترحل ووالدتها من المشـفي، رحلت وخلفته وراءها بلا أمل في رؤيتها من جديد أو أمل في أن ينبض قلبها له في يوم من الأيام.

شعر بتلك المرارة تكسو أيامه وتزداد وحدة قلبه وعقله.. تعجب من نفسه هو الذي ظن يوماً أن ليس للحب طريقاً إليه وإنه لن يخضـع يوما لقيود الحب أو أسـره الآن يكتوي بتلك النيران ولوعتها دون أن يملك القدرة في اخمادها أو تهدئتها.

لم يملك من أيامها شيئا سوى أن يذهب لنفس المكان ربما ليستحضرها أمامه جميلة هادئة محبة.

لم يكن يملك سوى أن يستعيد كلماتها الوهمية لتغلغله رغم علمه بكذبها وعدم صدقها ولكنه رضي منها بالوهم حتى وإن كان لن يعود، وكأن عقله أبي عليه وهمه فذكره بأخر كلماتها.. تلك السموم التي تركتها تنتشر بقلبه دون قيود تمنعها، هي القاضي والحاكم والجلاد بغير شهود اطلقت حكمها عليه، لماذا لم تواجهه، لماذا لم تثور عليه من البداية؟!

ربما لو فعلت لاستطاع أن يقنعها،لاستطاع أن ينفي ذلك الذنب عن نفسه المعذبة بها، ربما استطاع أن يمحي حقدها ويقتلع جذور الكره والانتقام من داخلها ولكنها لم تفعل وليتها اكتفت بذلك بل وأدت أخر أماله بذلك الحب الذي حدثته عنه وكأنه يحتاج إلي من يحرق أخر سفن نجاته إن كان هناك أمل في النجاة.

****

بالرغم من فقدانها النطق إلا أنها لم تكن لتسكت عن ذلك الظلم الذي وقعت ابنتها به، ربما وجدت طريقة ما حتى وإن كانت الكتابة أو الإشارة، لم تصدقها في البداية

ولكنها اقســـمت لها أنه مظلوم .. أختها هي من توهمت خطأ حبه لها، كانت تذهب معها في كل جلسـه ولم تر منه أي تصـرف قد يعدها بشـئ ولكنها انجرفت بإحسـاسـها نحوه، ربما لتخرج من صدمة موت عادل أو ربما لم تستطع التفرقة بين الحب والشعور بالعطف من طبيب لمريضـــته حاولت معها عبثا أن تقتلع جذور ذلك الحب من قلبها خاصة وهي تعرف أنه لا شيء علي الإطلاق.

عندما ســـألته عن ذلك لم يزد عن مجرد كونه تعلق المريض بطبيبه كشـــيء طبيعي في طريق العلاج وسرعان ما يتحول إلي امتنان بعد أن يشفي تماما من مرضـه وتستقر أموره النفســـية، هذا هو خطأه الوحيد إنه لم يقدر تماماً حجم ذلك القلق ولم يفهم حقيقة مرضـها ظناً منه بأنها تحسـنت ولم يبق سـوي أن تسـتوعب حقيقة مشـاعرها ولكن خاب ظنه ولم تستطع أن تتحمل فكرة ابتعاده عنها فانتحرت.

لم تصـــدقها، ربما ثارت.. بكت ولكن شـــيئا لم يغير الحقيقة أنه حقاً مظلوم وهي من أمعنت في ظلمه بكل قسوة ولم تأخذها به أي رحمة.

شـعرت أن رأسـها سـتنفجر وأنها لم تعد تفهم شـيئا.. هل أعمتها نيران حقدها عن كل شئ، هل اطفأ حزنها شمعة عقلها فلم تعد تفكر أو تعي شيء.

لم تتوقع يوماً أنها يمكن أن تظلم أحد هكذا.. وليس أي شخص بل شخصا أحبها حباً لمسته بنفسها ولم يعد في نفسها شك منه، أحبها لذلك لم يبتعد عن حقدها، لم يهرب من انتقامها بل استسلم له راضيا صابراً دون أمل.. دون رحمة كسرت قلبه وهدمت كل آماله البالية في حبها له، لم تعرف كيف ومتى كانت بكل تلك القسوة.

متى دعتها قدرتها إلي ظلمه هكذا.. حاولت أن تنفض ذلك الكلام عن رأسها، أن تنكره ولكن الحقيقة ماثلة أمامها وخيوط لعبتها اكتملت لتتألم هي الآن.

(أحمد كان على حق) هكذا نفسها تحدثها أو تؤنبها، أخبرها يوماً أن النار تأكل نفسها وها هي الآن مذنبة في حقه وحق يوسف وحق نفسها ،خسرته بحمقها وخسرت حب عمرها .. لكن وكأن نفسها ابت الانكسار قررت أن تذهب إليه .. أن تستغفره ربما ليحمي بعض من ظلمها علي نفسها أو تغفر لنفسها ذنبها باستعادته.

شعرت بشيء في صدرها يقلقها ويحدثها ببعد ما تتمناه لكن أملها كان قويا وشعرت برغبة كبيرة داخلها في استعادته فهي تحبه وتعلم أنه يحبها وكم تمني أن يعيش العمر معها لذا حملت حبها وقلبها واملها الوحيد وذهبت إليه ربما لتلقي إليه بحمل ثقل علي

قلبها وحدها، تحتاج إليه ليهدأ من ثورة عقلها ، تحتاجه يطمئنها، يضـــمها إليه ربما لتنسي الدنيا من حولها وتنس ذنبها وهجره وربما كل شيء.

الفصل التاسع عشر

لم تشأ أن تذهب إليه في الشركة، لم تشأ أن تحدثه هناك لم يكن المكان يسمح بأي أحاديث من تلك التي تريدها.

قررت أن تذهب إليه في منزله، كانت متأكدة من احساسها واحساسه، سوف ترجعه سيشعر بندمها وحزنها،بالتأكيد سيشفق علي قلبها من دمعة سيعود دون شك سيعود.

كانت جميلة رقيقة في ذلك الثوب الذي اختارته كغصن يهتز في طرب لألحان رقيقة تنساب حوله.

حاولت أن تكون جديدة، جذابة، صففت خصلاتها الذهبية عالية فبدت وكأن هالة من الشمس تحيط بها فزادت وجهها نوراً غطى ذلك الأسى علي وجهها وتوترها.

بدت الأضواء من بعيد صاخبة وكأنها أجراس تدق، عندما اقتربت أصبحت أكثر وضوحاً وأكثر إيلاماً.. هل حقاً ما ظنته.

دلفت سريعا إلي الداخل دون أن يوقفها أحد.. المكان يكتظ بوجوه لم ترها ولم تعرف أغلبها من قبل، لم تفهم شيئا مما حولها أو ربما حاولت التغابي،مضي بها الوقت سريعا وهي تتفرس الوجوه حولها باحثة عن وجه تتمناه من بينهم.

اصـــطدمت عيناها بها، لم تتخيل أنها حقا هنا .. في تلك المرة لم تأت لتحدثها كما تعودت بل أدارت لها ظهرها وكأنها لم ترها .

ترقرقت تلك الدموع في عينيها وأدارت بصــرها في محاولة أخيرة للنجاة ،للحياة تبحث عنه.

اخترقت تلك الأجســاد المتكدســة دون أن تشــعر بها وإن كانت الأعين تنبهر ببريقها وجاذبيتها دون أن تعيرهم هي أدني اهتمام.

غاصت وسط تلك الأجساد حتى التقته .. علي بضع خطوات كان واقفاً وأمل إلي جواره في ثوب لم تخطأ أبدأ ظنها فيه ،إنه ثوب خطبتها ،ربما تشــاغلت مع إحديزميلاتها فلم ترها ولم تتقابل أعينهما بينما هو ارتطمت بها عيناه.

في حوار قصير طويل لم تحتج إليه يوما لتفهم ذلك المصير الذي كتب لها.

لم تعرف هل تلومه أم تلوم نفســـها لأنها اختارت بعده من قبل، هل جرحها أم هي التي قســت علي نفســها وخطت بيديها هذا الطريق وتلك النهاية.. نعم يحبها وكل قســمات وجهه تنطق باسمها.. تنضح بحبه، تكاد تميز صوته الصامت يهيم بها، ينشد قربها.

علا الألم وجهه، لم تحيد عيناه عن وجه طالما أحبه ورواده صحية ومنامه ودّلو تمتد يده فيمسح حزن قلبها الذي هو سببه ،لماذا جاءت اليوم ؟

لماذا شاءت لها الأقدار هذا الجرح وتلك الطعنة علي يده، لماذا ؟!

زاد حنقه علي الظروف التي أبعدتها عنه من البداية، تركته وكل خلجاتها تنطق قهرا، تركته لتتعذب ويشـــقي هو من بعدها، لماذا لم تختره من البداية، لماذا لم تســـمع أنين قلبه وشكواه لم يعرف أبداً جوابًا.

لم تعرف هل تلك دموع التي انســابت فوق وجنتيها أم دماء من نزف قلبها ،لم تســتطع الاقتراب منه وكأن حائلاً يمنع بينهما ،هي التي تمنت ان تلقاه فترتمي بين ذراعيه وتترك أنفاسه تشدو ألحانا فوق وجنتيها وحنين قلبه يدفئها ويدفء برد قلبها فيشفيه.

شعرت أن المسافة بينهما تبعد وكأن جسدها يتحرك بعيداً مهاجراً وكأنه أصبح نقطة في سراب بقيعة، لملمت شتات نفسها المعذبة وتركت ذلك الجمع الذي لم تعد تراه خلفها وخطت إلي خارج منزله.

شــعرت بيده علي كتفها تســتوقفها في لحظة وأدار وجهها إليه ونظرة ألم تعتصــر على وجهه تفضح حبه وهيامه بها دون أن ينطق بشيء.

خط بيده علي وجهها ليحتضـــن تلك الدمعات بكفيه، ربما طالت اللحظة بينهما ولكن وجدت صـــوتها أخيراً: كان لديك حق فيما قلت، أنا من أضـــعتك من يدي ولا جدوى الآن ،ألف مبروك.

كان صوتاً داخله يريد أن يثور ..أن يصرخ.. أن يستحلفها البقاء، أن يلعن كل قيد حوله فيحطمه ولكن شيئا لم يكن.

نهاية المطاف بهما وكمن أحس بأن تشبثه بها أشبه بالمحال فخارت قواه وسحب يده من فوق كتفها.

لحظات واختفت عن ناظريه ،أوقفت تاكســـي لتعود من حيث جاءت كما تفعل عروس البحر، أطلق العنان لقلبه ،إن لم يكن ليعيدها فليكن ليودعها الوداع الأخير وكأمل عزيز صعب المنال، ودون وعي رفع يديه مشيراً للاشيء مودعاً لطيفها الراحل وامتدت أصابعه تجفف دموعا لم تعرف طريق إليه من قبل ،شـــعر وكأنها لم ترحل وحدها بل رحل معها شـــئ عزيز بداخله ولن يعود ،أحس بأمل تتأبط ذراعه وفرحة راقصـــة فوق محياها وهي تسأله في دلال :ماذا تفعل هنا بمفردك؟

سـحبته إلي الداخل وهي تخبره بأن المدعون يبحثون عنه في كل مكان واسـتجاب لها دون نقاش.

أدركت منى من ذلك الاختفاء وذلك الوجوم الذي علا وجهه انه كان مع سلمولكنها لم تعلق بشـيء، ولم تشـأ أن تخدش ذلك الفرح في قلب صـديقتها فتركت الأمور كما هي تداويها الأيام ولم تشر إلي سلمى ولا مجيئها بشيء.

****

حائرة الخطوات هي.. مضـطربة النفس كانت لا تدري طريقاً تلمسـه وكأن جبال الثلج تحاوط فكرها فيتجمد وقلبها أضحي بلا جدران تأويه.

عارية النفس إلا من ألم يقتلها، حزن، يأس، خوف لم تستطع التمييز.

"لا يمكن أن يجتمع الحب والحقد في قلب واحد" ظلت عبارته تلك تطاردها فتزيد من ظلمه قلبها وندمها، شـباك دموعها وذلك الليل الحالك في تلك الليلة أعميا عينيها فلم تعد تدري إلي أين تسير بها خطاها التائهة.

وبقوي الذنب التي تدفعها وجدت نفسـها أمام عيادته.. ربما طلباً لمغفرة أو ربما لأنها تحتاج قلبا تأوي إليه وتفرغ حزنها وعواصف الألم بداخلها.

كعادتها كانت الأخيرة في العيادة، تسمرت نظراته عليها في خليط من الدهشة والاعجاب بها، وكأن أعصابها رفضت أن تتحمل المزيد فخارت قواها وسقطت بين ذراعيه فحملها إلي الداخل.

الفصل الأخير

عندما فتحت عينيها وجدته يرقبها بعينين قلقتين ووجه عابس في خوف عليها، لم تتمالك نفسها من نوبة بكاء كانت قد منعتها طويلاً.. حاول تهدئتها ظلت تتمتم ببضع كلمات لم تلتقطها أذنيه إلا بعد أن هدأت: لقد عرفت كل الحقيقه.. وصمتت ربما في انتظار لثورة لا تتحملها في ليلتها تلك ولكن لا نت ملامحه وابتسامة وديعة مطمئنة ارتسمت علي وجهه: هل صدقتني؟ هل غفرت لي ذنب لم يكن ذنبي يوماً.

_بل أنا من أطلب الصفح والغفران أنا من سببت لك كل ذلك الألم أنا.....

_سلمي ، أخبرتك من قبل أنني لم أندم علي شئ،كنت أعرف كل شئ من البداية ولم أبتعد وإن عادت بي الأيام لم أكن لأبتعد عن قلب مثلك يا سلمى.

عادت الدموع إلي مجراها علي وجهها واختنق صوتها :يوسف أنا لا استحق هذا كله ولست كما تظنني ،ارجوك لا تزيد عذابي ويكفيك أن تعرف اليوم أن الله جزاني بالجزاء الذي استحقه لأنني يوما كسرت قلبك ولأنني خدعتك ، اليوم فقط عرفت ذلك العذاب وعرفت دموعها.. هل تذكر مروة، هل تذكر كيف توسلتك لتبقي معها لتشعر بها لأن قلبها لم ينبض لسواك؟.. أنا حطمتها وأشعلت نيران الكره بقلبها وعاد صوتها ليختنق

من جديد، ربت كتفها في حنان: كفاك يا سلمى لا تحملي نفسك أكثر من طاقتها، لقد انتهى أمري مع مروة، بك أو بدونك هذا ما كان سيحدث، صدقيني هي لم تحبني فقط أحبت امتلاكها لي.. دعك من هذا واخبريني ما الذي حدث لك؟، نبرات صـــوتك ووجهك منذ جأت لا ارتاح لهم هل قابلت أحمد؟

ارتفع حاجباها في دهشة عقدت لسانها فأجابها: ليس صعبا أن أعرف عنك شيئا، ربما فيما ســبق لم أكن أعرف لكنك منذ أخبرتني وأنا عندك بالمنزل عرفت كل شــئ،حزنت كثيراً وشعرت بوحده تتملكني لكني لم أتمن سوى أن تسعدي حتى وإن كان مع غيري خاصة عندما عرفت أنه يحبك .

دفنت وجهها بين كفيها، لم تكن لتتوقع أبداً أن يكون هذا شـــعوره نحوها ،أن تســـمو مشـــاعره إلي هذا الحد معها، وجل ما ألمها أنها لم تحمل له في المقابل ســـوى الكره والانتقام ولكن ما جدوى ندمها الآن.

تناول وجهها بين يديه ناظراً إلي عينيها بألم وخوف فلم تتمالك نفسها فأغمضت عينيها: اليوم خطوبته !!

لم يعرف بما يجبيها كيف يخفف ألمها، ليته يستطيع أن يمنع ذلك من الحدوث ولكن ماذا عساه أن يفعل ،سألها من خطيبته فأخبرته ببداية الحكاية وكيف ذهبت إليه في المشفى ورأتها والحوار القصير الذي كان بينها واليوم حين رأته وما حدث بينهما.. ربما تلمس من كلماتها بريق من الأمل أو ربما سراب طمأنه :إذا فهو لا يحبها وإلي تلك اللحظة مازال يحبك؟

لم تجبه سوى بدمعها فقال: سلمى سأذهب إليه، سأتحدث معه لابد أن يعرف كل شيء حدث.. أنت لم تنتقمي مني كما يظن لست السبب في فقداني العيادة أو مروة، كل تلك الأمور بك أو بدونك كانت ستحدث، لابد أن يعود، لابد أن يعرف ،إن كنت قد خسرتك فلا أريدك أن تخسري حبك.

أمسكت بيده قبل أن يقوم من مقعده : يوسف لماذا تفعل معي كل هذا ؟

لانت نبرات صوته فأصبحت أكثر دفئا ورقة: لأنني أحببتك من كل قلبي ولم أتمن يوما سوى سعادتك حتى وإن كانت مع غيري كما أخبرتك، لم أستطع أن أهبك السعادة معي، لم أستطع أن أجعلك تشعري بنبض قلبي فلتكن سعادتك مع غيري ربما كان أقدر

على أن يهبك حباً حقيقي يلمس قلبك، سأذهب إليه ليس الآن ، ليس عدلاً أن يظلمك ويظلم غيرك دون ذنب جنته أو جنتيه.

ودعها وقبلة حانية فوق جبهتها وكانت جل ما يتمناه منها أن تشعر به، أن يكون ملاذها عندما تحتاج لأمان وقلب يحتويها.

راقبها وهي تختفي داخل سيارتها بعد أن رفضت أن يوصلها ..رحلت وتركته فى تلك اللهفة الدائمة لها وذلك الشوق الذى لا ينطفئ نحوها .

اختفت عن ناظره كنقطة بعيدة وتلاشـــت فى الأفق المظلم أمامه .. أطلق تنهيدة عميقة ربما لينفث بها بعض ألسنة اللهب فى عقله المشتعل .

الغد عليه أن يذهب إلى أحمد ليقنعه ألا يهدم قلبها ، ألا يترك قلبها ليشـــتعل داخلها مناجيا له دون أن يسمع صداه.

لم يكن من الصعب أن يشعر بلوعتها تلك وهو الذى عاشها وعانى منها ومن تجاهلها له ، أنه إلى تلك اللحظة يحبها وإن كان يعلم أنه حب موءود قبل أن يرى النور لكن ما بين يديه حيلة .

.....

اتصــل به فى الشــركة وطلب منه أن يلقاه دون أن يخبره عن هويته ، ربما تردد فى بداية الأمر عندما رفض أن يخبره من هو ولكن نبرة صـــوته الجادة الحازمة جعلته يوافق على لقائه بعد أن ينتهي من عمله .

****

لم يكن أحمد يعرف وجه زائره بينما يوســف كان يعرفه جيداً فتقدم نحوه باســماً ماداً يده فى ترحيب : بشمهندسأحمد أليس كذلك ؟!

صافحه فتساءل مرتسمفي عينه يحاول أن يواريه راداً عليه : نعم

– أنا دكتور " يوسف إسماعيل "

بدت نظرة الذهول على وجهه معرقلة لبقية الحديث بينهما ، لكن يوســف لم يشــأ أن يستمر هذا طويلاً : أرجوك أسمح لنا أن نجلس أريد أن أتحدث معك.

جلس دون أن تختفى تلك النظرة عن وجهه وإن كانت قد بدأت تخبو .

– ربما إنك لم ترنى من قبل ، لكنك تعرف كل شئ من بدايته وتعرف سبب معرفتى بسلمى وكيف بدأت ، لكنك أسدلت ستارالنهاية قبل أن تعرف مجرى الأحداث وتركت المسرح قبل فصل النهاية بكثير .

حاول الحفاظ على صـــمته أكثر ربما قد يســـتوعب شـــيئاً مما يحدث حوله أو ربما ليكتشف سبب تلك الزيارة غير المتوقعة .

لم يعرف كيف ينتقى الكلمات كى تصبح أقل إيلاما على نفسه ليشرح له كل شئ كان بينه وبين ســـلمى إلى ذلك اليوم الذى ذهب فيه إليهم فى المنزل ليتقدم لها وما حدث بينهما وما حدث بعدها لوادتها.

حاول جاهداً ألا يبدى اهتماما بما يقال لكن دون جدوى ظهرت انفعالات وجهه فاضحة لما يعتمل في نفسه وذلك الألم الذي يعتصره.

–ربما تتعجب إن اخبرتك انني ســأظل مدينًا لســلمى بكل شــئ فعلته من أجلي ، ربما ظنت هي أنها تنتقم مني ولكنها لم تعرف أي ضـــياع انتشـــلتني منه ، لم تعرف كيف أعادتني إلىنفســي بعد أن ضــل طريقي مني ، كنت أعرف رغبتها في الانتقام مني من قبل ولم أقاومها واستمريت معها فى قصتها على أمل أن تشعر بقلبيونبضى لها ، أن تنسى كرهها لى فيولد حبى فى قلبها ولكن ذلك كان أشــبه بحلم بعيد المنال ، كان حبك هو ما يظلل قلبها فلم ترى سواه ولم ينبض قلبها لى يوماً رغم كل شيء.

مضت فترة صمت ثقيلة على كليهما كل منهما يحاول أن يجمع شتات نفسه المبعثرة ويلملم أطراف قلبه التائهة ، حاول ألا يجعل كلمات يوسف تلمس ذلك الوتر الملتهب داخله لكن دون جدوى ضغطت تلك الكلمات على ذلك الوتر ليزداد التهاباُ ونزفا ، حاول أن يضبط أعصابه لتخرج الكلمات كما يريد: دكتور يوسف أعذرنى ، لكنى إلى الأن لم أعرف سبب زيارتك تلك وماذا تريد ؟

- بل أنت تعرف جيداً ما الذى جعلنآت إليك ، ليس عدلاً أن تقسو عليها هكذا ، إن كان ما أبعدك هو انتقامها منى فهذا شيء يعود لى ولم يؤذني في يوم بل كما أخبرتك أعاد تصحيح أوضاع قديمة ، من الظلم أن تتركها وقلبك مازال ينبض باسمها.
- دكتور يوسف ، لقد انتهى كل شئيء ، ربما لو كان لقاؤنا من قبل لاختلفت الأوضاع لكن الآن صعب.
- لماذا ؟ لماذا نصعب الأمورعلى أنفسنا وفى أيدينا الحل .
- هل أخبرتك سلمى أن بالأمس كانت خطبتي ؟!
- نعم

- كيف إذا أستطيع أن أعود إليها؟،صدقنى أضحى ذلك مستحيل ، أعرف إنك تركت خطيبتك من أجل فتاة أحببتها لكنى لا أستطيع ، ربما حقاً لم يدق قلبى لأمل ولمأحبها ، لكنها أحبتنى وكانت ملاذيفي وقت اختارت فيه سلمى أن تتركنى وتبتعد ولم تبال بذلك الجرح الغائر الذى تركته بداخلي ، كانت اليد التامتدت إلى فتشبثت بها بعد أن تاه قلبى منى ، لا أستطيع الأن أن أسبب لها جرحاً كمكافأة لحبها لى ، لقد جربت تلك المعاناة وشربت ذلك الكأس مراً قاسياً ولا أستطيع أن أسقيه لها.
- وهل تعتقد أنك هكذا لن تظلمها ، وهل تعتقد انك هكذا تنصفها ؟ هل تخدعني أم تخدع نفسك إنك إلى تلك اللحظة تحب سلمى.
- أطرق لحظة بدت طويلة وكأنها لحظة فصل الحياة عن الجسم : نعم إننى إلى الآن أحب سلمى ، لكنى لن أعود إليها ، لن أتحمل أن أجرح قلب أحبنى وأكون أناني .. سلمى أصبحت ماضي ربما أحن إليه ولكنه لا يعود أما أملفهي مستقبلي الذي سأسعى إليه ربما أفيها حقها فى يوم .

****

طوال الطريق وهو يتعجب منه ومن نفسه ، كيف كان كلاهما بكل تلك الأفلاطونية ، كيف ومتى ولدت لديه إنه حتى لم يعهدها فى نفســـه من قبل ، ربما كان حبه لها حقيقياً فدفعه إلى محاولة إسعادها حتى وإن كان سيشقى من بعدها أو ربما دمعها الأبي لمس قلبه فحركه بأشــياء لم يعتدها فيه فأبى إلا أن يســعى لإســعادها قدر ما يشاء.

عاد الأسى يدق بابه ثانياً ، محاولاته باءت بفشل كان يخشاه ولكنه رغماً عنه صار واقعاً عليها تقبله ، عادت صــورة أحمد أمامه مثيرة للتســاؤلاتالتي لم يجد لها إجابة لديه ولكنه لم يشك فى كونه شخص نبيل إلى ذلك الحد الذى يجعل سلمى لا ترى سواه.

***

عندما عاد وجدها فانتظارهفى عيادته ، ولكنها لم تكن الأخيرة كما اعتادها بل كانت تنتظره منذ وقت طويل ، ود لو إنه لم يأت إلى العيادة ولم يلقها ولكن لا فرار فهي يجب أن تعرف حقيقة ما دار بينه وبين أحمد ، لم يعرف كيف يبدأ كلامه أو بماذا يخبرها .

هل ستقتنع أنه حاول معه جاهداً دون جدوى، هل سيقنعها رأيه أم هل تثور وتلعن كل شئ ؟

هل يمكنه بسهولة هكذا أن يخبرها أن حلمها قد مات كما كفن حلمه من قبل ،كيف لها أن تعيش تلك اللحظات الخانقة التى تسحبها من الدنيا وكأنها مشانق تأبى إلا أن تطبق على الأنفاس فتسحقها بلا رحمة، وتنهد دون أن يجد لأسئلته جواب ودون أن يعرف ماذا عليه أن يقول ، حاولت شفاهه أن تتحرك ..تبتسم .. تنطق .. تثور ، لكن شيئاً من هذا لم يحدث فأطبقهما ثانياً وغامت عيناه وتاهت فوق صفحة وجهها العابثة الراجية دون أن يستطيع الهرب من تساؤلات عينيه .

لم تكن تحتاج إلى كلماته ولا إلى تردده فى إخبارها ففهمت كل شئ ، لم تستطع أن تمنع ذلك الحزن أن يكسو ملامحها ويزيد من شحوب وجهها فيقتل أخر أمل باقى لها ، ربتت كتفه : أشكرك على كل شيء .

كانت تقصد هذا الشكر حقاً من كل قلبها الكسير ، حاول أن يوقفها ... أن يقول أشيء ربما يخفف عنها ولكنه وجد كل الكلمات تجرحها ، كل حرف يذكرها به

ويزيد من نزف قلبها فصـمت ، صـافحته فعانقت يده يدها وكأنهينعيها وينقل لها دفئا تفتقده فى تلك اللحظة وحباً ربما تشعر به فى يوم حتى وإن طال ..

تركته ورحلت وما إن وطأت قدمها أرض الشـــارع الذى طالما جابته ليلاً خالياً لم تستطيع أن تمنع دموعها أن تكسو صفحة وجهها وتلك الكلمات التى قالها لها تأبى أن تنقشــع عن ذاكرة قلبها ، عادت لتنظر إلى العيادة خلفها وهى تضــج بمرضــاها وكلا وشـكواه .. نعم لقد كانت سـبب في أن يشـق طريقه بعيدا عن قيود مروة وأبيها وكان انتقامها منه ســبب لوفاة قلبها ، رحل أحمد عنها وعن نبضــها الناطق باســمه وترك صــوته يحيي بداخلها ليخبرها أنه طالما أحبها لكن " الحب والحقد لا يمكن أن يجتمعا في قلب واحد " وصـــدق قوله وتركها لتحيا نتيجة حقدها ووفاة قلبها العليل.

تمت ،،،